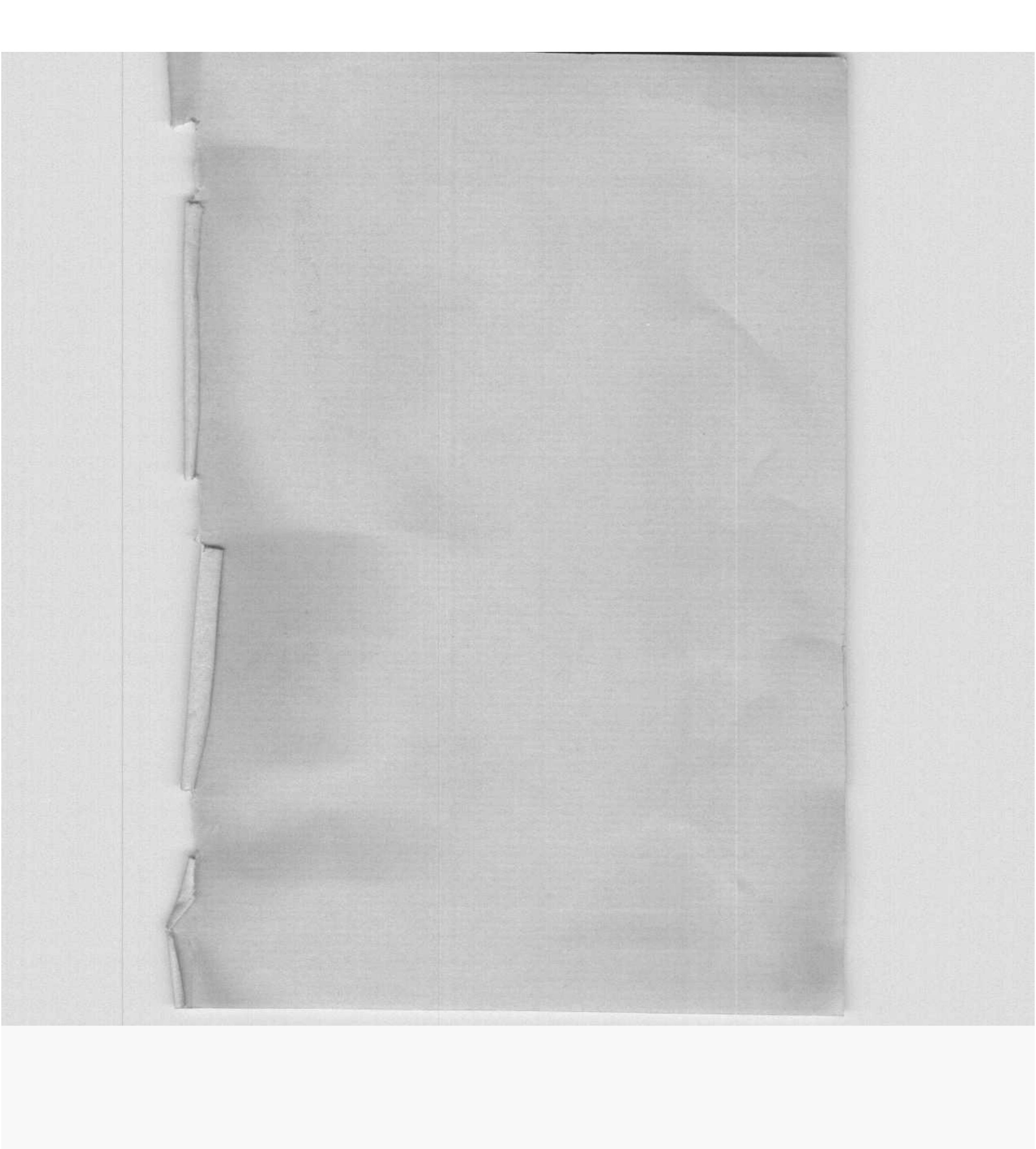

أوراق نادرة
"بلا ثمار"
رواية
عادل القنصل



أوراق نادرة

" بلا ثمار "

٢٠٠٥/٢/٢٥ ٢٠٠٥/٨/٢٠

رأهما يتهامسان وينظران إليها..فهمت ما يدور بينهما من حديث..توجهت لغرفتها وأخرجت مبلغاً..خرجت ونادت عليهما..جريا عليها وظلا ينظران إليها في حنان..أمرت كل منهما أن يفتح يده ويغمض عينيه..فعلا..وضعت في يد كل منهما المبلغ المالي بعد أن قسمته بالتساوي..أمرهما أن يفتحا عيناهما..عرفا أن اليوم هو الأول من الشهر..ذلك مصروفهما الشهري..ظلا ينظران لبعضهما البعض في استفسار..هذه هي المرة الأولى التي يحصلان فيها على مصروفهما كاملاً..اعتادت أن تعطي كل واحد منهما مصروفاً يومياً..بحسهما الطفولي أدركا أنها فهمت ما يربو إليه كل منهما.

ظلا يقبلانها ويدعوان إليها بتمام الصحة والعافية،،ثم توجها إلى مدرستهما ..عادا في الظهيرة وكل منهما يمسك هديته بين يديه ويضعها قريباً من قلبه..رأهما فجريا عليها يقبلانها وقدما لها

الهدية..قالا "كل سنة وانتي طيبة يا ماما" اليوم عيد ميلادها..أتمت الخامسة والأربعين.

بدءوا في إعداد الحفل..أحضر البواب ما طلبته منه من حلوى..في المساء حضر شقيقها الأكبر "مروان" والأصغر "طاهر"..كل منهما أحضر هديته وقدمها لها.

ظلت تنظر إليهما وهي ساهمة..الطفلان "باهر" و"هدير" قبلا أيديها ثم انطلقا ناحية خاليهما وقبلاهما.."مروان" ينظر إليهما في فتور و"طاهر" يداعبهما مجاملاً.

نظرت إلى شقيقيها وقالت:-

- اتقوا الله في ولاد أختكم.

هز "مروان" رأسه ساخراً ونظر إليها "طاهر" وقال:-

- طبعا طبعا يا أختنا الحبيبة..هو إحنا عندنا أعز من عيالك.

بعد أن انتهى الاحتفال..جلست معهما في الصالون..فأخرج لها "مروان" مبلغاً مالياً وورقة وقال:-

- دول خمس تلاف جنيه..الباقي من نصيبك من الأرباح..والورقة دي متقيد فيها المصاريف اللي اتصرفت على بنا الفيلا..في نفس مكان بيتنا

أخذهما وظلت تنظر إلى الورقة وتراجع حساباها ثم نظرت له وقالت:-

- عشرتلاف جنيه مواد بنا؟!.

نظر لها "طاهر" وأخرج من جيبه عدة فواتير وناولها إياها فأخذها وظلت تراجعها ثم قالت في اعتراض:-

- يعني الفيلا هتعدي الخمسين ألف جنيه.

قال "مروان" مؤكداً:-

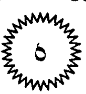
- مواد البنا كل يوم في سعر..واسألي أخوكي اللي عمل الرسم وبيشرف على المباني.

ظل "مروان" يبرطم بين نفسه قائلاً "أنا مش عارف لازمة الفيلا دي وانتي قاعدة في شقة مساحتها مية وخمسين متر..ليه ولمين".

نظرت له وكأنها فهمت مقصده وقالت في تأكيد:-

- الفيلا دي لولادي.

قال في نفسه معترضاً "ولادك"



الأشقاء الثلاثة ورثوا مصنعاً للبلاط من أبيهم وبيت العائلة في قطعة أرض "جناين" عشرة فدادين ورثوها من أمهم ووزعوها حسب نصيب كل منهم..وتولى "مروان" إدارتهما فيذهب إليها كل شهر

ليتحاسبا..علاقتهما يحكمها الفتور..أما "طاهر" فهو في حيرة بين إرضاء أخيه الأكبر وأخته التي تكبره بثلاثة أعوام..ظلت تراعيه حتى حصل على بكالوريوس الهندسة..فكانت عوضاً عن أمه..زوجتهما ولم يمض على زواجها سنين معدودة حتى إنفصلا عن زوجتيهما ولم يكررا المحاولة لأسباب تعلمها الشقيقة.

تشرف على المصنع بنفسها مرة أو مرتين كل أسبوع..تعرف كل خباياه فقد كان أبوها يصطحبهم جميعا إلى المصنع ليتعرفوا على خط إنتاجه..كانت تستوعب كل ما يقوله الأب فكانت أكثر منهما دراية بطريقة تشغيله.."مروان" لم يكمل دراسته..خرج بعد حصوله على الإعدادية وتولى العمل بجانب والده..هو الكبير والمسئول عن الأسرة..لكن "نادرة طغت بشخصيتها القوية..كلمتها هي المسموعة لدى أبيها وأمها في بيت له تقاليده الخاصة..فالأب كان صارماً والأم حازمة..يجتمعون على سفرة واحدة خلال تناولهم لوجباتهم اليومية..تصطحبهم الأم إلى مولد سيدي "إبراهيم الدسوقي" وتضعهم أمام الضريح وتدعي لهم وتقول:-

- بركاتك يا طاهر..تجعل العنباية تطرح لأجل ربنا يبارك فيهم.

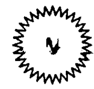
لم يأبه "مروان" أو "طاهر" بمغزى تلك الزيارة السنوية التي تتكرر

كل عام حتى كان "مروان" في الثامنة عشر و"نادرة" في السابعة عشر و"طاهر" في الرابعة عشر..لكن "نـادرة" كانـت تنظـر إلى أمهـا والدموع تنهمر من عينيها وتسمع عبارة العنبايـة وأوراق العنـب وتتذكر الشيخة "حجازية"..كانت تأتي أسبوعا لزيارة أمها في البيت الذي كان يقع في منتصف أرضها الزراعية..تقول لها "العنباية مـش هتطرح غير ورق..وده أمر الله ومشيئته"..تتوسل إليها الأم وتقـول "شوفي لك صرفة يا شيخة حجازية لأجل تحل عننا اللعنة..إنتي مخاوية وليكي قدرة وصرفة معاهم"..

تعدها الشيخة كل مرة أنها ستتصرف وسـتحاول..لم تفهـم تلـك الألغاز التي تحيط ببيتهم الريفي المتسع..وما سر "العنباية" أو تكعيبـة العنب..فهمت ذلك عندما تزوجت.



كل يوم تطاردها الكوابيس..لا يمر يوم إلا وقد استيقظت من نومها ودموعها منهمرة على وجنتيها..نفس الأشخاص يتكررون..الشيخة "حجازية"..تكعيبة العنب تقع على رأسها وتموت.."عيسوي" يأخـذ منـها أولادهـا..تظـل تصـرخ وتتوسـل إليـه..تتوسـل إلى الشيخة"حجازية" لتنقذهم من يديه ولكنها تقول لها "ورق العنـب



هيفضل ورق..العنباية مش هتطرح..طرحت تلت مرات ومش هتطرح تاني".

تجري إلى حجرة الأولاد فتجد كل منهما نائماً على سريره..توقظهما في حنان وتمسح دموعها وتقول:-

- يالا يا حبايبي..أتوبيس المدرسة زمانه جاي.

يستيقظان في خفة وكل منهما يطبع قبلة على وجنتيها ويقول:-

- صباح الخير يا أحسن أم في الدنيا.

تظل تتفحص وجهيهما..عينا "باهي" تشبه عينيها..نفس الشكل واللون..وشفتا "هدير" الرقيقتين..تشبهان شفتيها..حتى الخال الموجود أسفل ذقنها..هو نفسه عندها..لم يكن موجودا في الستة أشهر الأولى من عمرها..تظل تقبل فيهما وتقول:-

- يا رب يخليكم عوض ليا..وأفرح بيكم أنتم الاتنين في ليلة واحدة.

تعد لهم الإفطار سريعا ثم تناولهم السندويتشات وتظل تنظر إليهم حينما يترلون حتى يركبوا الأتوبيس..ويشيرونإليها بحب وينطلق الأوتوبيس.

٣

تتعجل الأيام حتى يتم الانتهاء من بناء الفيلا وتعود إلى أرض أمها في الريف المترامي الأطراف حتى تبتعد هي وأولادها عن الناس..فقد

ملت المعيشة في المدينة الصاخبة في عمارة مكونة من خمس طوابق..يطاردها الجيران هي وولديها بنظراتهم..كانت تعتقد أنهم يحسدونهم..بل أن منهم من يثرثر بعبارات هي تفهم كنهها..تضغط على نفسها وتتحمل..حرمت على ولديها اللعب مع أحد من أولاد الجيران..كما حرمت عليهما الارتباط بأي علاقة زمالة بأقرانهم في المدرسة.

الجارة "أم خليل"..دائما تنظر لها وتوجه لها كلام من خلال شباك المطبخ المواجه لمطبخها وتردد عبارة تؤرقها فكانت دائما تقول:-

يا مخبي السر في بير..بكرة نجيب الطباشير ونكتب على السبورة..على اللي فاكرة نفسها سنيورة.

كلهم يحقدون عليها لأنها أشيك سيدة في العمارة بل في الحي بأكمله..دائما تعتز بنفسها..تلك طبيعتها منذ أن كانت في كلية التجارة جامعة الأسكندرية.

أقامت في تلك العمارة عندما تزوجت وكان زوجها يعمل بوظيفة محترمة وهامة في المحافظة..وهي الآن تتعجل شقيقها "مروان" لينتهي من بناء الفيلا.



جلسوا جميعا أمام السفره..أنواع مختلفة من الطعـــام والفاكهـــة..لم تبخل يوما على ولديها..لكن "باهي" نظر إلى الفاكهة الموجودة على السفرة وقال في تلقائية:-

احنا ليه ما بنجيبش عنب يا ماما.

أصابها الوجوم..ونظرت إليه وتلعثمت ثم قالت:-

أصل..أصل العنب بيجيب مغص.

قالت "هدير" في تلقائية:-

معقول يا ماما ده احنا درسنا في التربية الزراعية إن العنب من الفواكه الكاملة في القيمة الغذائية.

شخطت فيها وقالت:-

كلامي أنا اللي صح..وأنا أدرى بإيه اللي يـــنفعكم وإيه اللي يضركم.

نهضت من على السفرة في عصبية وقالت في نفسها "الولاد بيكـــبروا وأسئلتهم بتكتر" ثم دخلت حجرتها واختلـــت بنفســـها تســـترجع ذكريات طفولتها وصباها في بيتها الـــذي كـــان يتوســـط بيـــت

أوراق تطرح ولا ثمار..ما السبب..سألت أحد المزارعين الذين يعملون بأرضهم فلم يجد إجابة ليقنعها بها..استشارت مهندس زراعي فأجابها أنها حالة نادرة..أن ينتج العنب لسنين طويلة..ثم تذبل الثمار وتطرح الأوراق.

تذكرت أن هذه "العنباية" كانت تطرح وتوقفت بعد ولادة أخيها "طاهر" فاستدعت إليها "حجازية"..حاولت في بادئ الأمر إيجاد الحل عن طريق التعاويذ..فكانت تأتي لأمها اثناء وجودهم في المدرسة ويحفران حفرة عميقة ويضعان صرة من القماش.

أثارها فضولها لكشف ذلك اللغز..حضرت من المدرسة ذات مرة فلم تجد أمها في البيت ولا أباها..فحفرت مكان الحفرة التي رأت أمها تحفرها مع "حجازية" فوجدت الصرة القماش فأخرجتها وما أن فتحتها صرخت فقد وجدت بداخلها جمجمة طفل صغير ميت..لم تنم ليلتها..بيتهم منعزل يخيف من يقيم به في النهار..ألغاز في حياة أسرتها..تحولت فيما بعد إلى ألغاز في حياتها..تحلم بجمجمة الطفل الصغير تتحرك أمامها وتصرخ.

ذكرياتها في بيت أسرتها مؤلمة..كيف ستعود لتقيم هناك ولكن هدفها هو عزل أولادها عن الناس لعلة في نفسها.

ورق العنب المحشو..لم تكن مائدة الأسرة تخلو منه..أمها تجيد طهي

ذلك الصنف..دائما تتفاخر بهذا النوع من الورق بمذاقه الخاص..أكلته عند بعض أقارب أمها وأبيها ولكن ليس بنفس المذاق..حتى أنهم كانوا يطلبون ذلك الورق من الأم ولم تلبي طلبهم..ليس بخلا ولكن أيضا لأمر ما في نفسها لم تعرفه.

والدها كان دائم الشجار مع شقيقه الأكبر الذي دائما تعوزه الحاجة..لم يبخل الوالد عن مساعدته ولكن زوجته "شوقية" كانت تكن كراهيه لأمها..فهي لم تنجب..وكانت تسمع عن أمها أنها تعد أعمالا وأسحارا حتى تحرم مثلها من الإنجاب..ولكن الله أراد أن تنجب أمها ولكن لم ينجب أخولها.



أخر الشهر تجمع ما ادخرته من مصاريف البيت لتضعه في دفتر توفير أحدهما باسم "باهي" والآخر باسم "هدير" ثم تستقل سيارتها وتتوجه إلى المصنع لتتابع خط سير العمل..عندما يراها "مروان" يشعربالضيق فهي تتدخل في كل صغيرة وكبيرة..ويكون الأمر شاقا على نفسه إذا ما وجدت عيبا في الصناعة أو وجدت مشاكل لعامل لم يستطع حلها..أو في حالة توقف آله عن العمل..فهي تصيح في وجهه أمام العاملين مما يجعله محرجا..يحبها ولكنه يخشاها..أما "طاهر"

فيختبئ كالفئران عندما تزور المصنع..هو أيضا يحبها حبا جما لكنه يخشى عصبيتها..الصفة التي كان يتصف بها والدها.

تأخذ منها نصيبها ثم تراجع دفاتر الحسابات..ليس شكا منها في ذمته ولكن للحفاظ على مالهم جميعا فهما ليس لهما طموح في الحياة..يعيشان سويا في شقة وتخدمهما سيدة طاعنة في السن تشرف على نظافة البيت وتطهو لهما الطعام.

دائما تقرأ في عيني "مروان" عبارة يتمنى أن يقولها جهرا "هتعمل إيه بالفلوس دي كلها..يا وارث مين يورثك" ولكنه يخشاها.

تعود من رحلتها قبل وصول ولديها بنصف ساعة..يتجمعون على السفرة ويتجاذبون أطراف الحديث عما درسوه اليوم ثم تراجع دروسهما وتؤكد عليهما ألا يقيما علاقات مع أقرانهما..دائما تؤكد على هذا المطلب الذي يجعلهما دائما مندهشين منه.



نجح "باهي" في المرحلة الابتدائية وقبل في المدرسة الإعدادية ونجحت "هدير" في الصف الرابع الابتدائي..اعتادت أن تصطحبهما في العطلة الصيفية إلى الإسكندرية..تمتلك شقة صغيرة تقع على البحر بمنطقة رشدي اشتراها والدها عندما كانت في الجامعة.



ولديها في شوق للاستمتاع بمياه البحر التي تخافهـــا..فقـــد رأت في صباها طفل يغرق أمامها في نفس المكان على شاطئ رشدي..جلست تحت المظلة..ولديها يلعبان في الرمال ولكنهما لا يستطيعان الـــترول إلى البحر رغم ارتدائهما ملابس السباحة..عندما يريـــدان الـــترول للبحر تقف أمامهما ولا تتعدى خطواهما داخله عن متـــر..بالكـــاد تصل المياه إلى قدميهما ثم تعود معهما وتجلس أسفل المظلـــة وهمـــا يلعبان بألعاب البحر ويبنيان بيت من الرمال فتجاريهما حتى يكتمل البيت..كل منهما يريد أن يستحوذ على البيـــت وحـــده..فتقـــول لهما:-

- البيت ده بيتكم أنتم الاتـــنين..هتعيشـــوا فيـــه لوحدكم بعيد عن عيون الناس.

ينظران لها في استفسار..ثم يغلبـــها النعـــاس علـــى أثـــر نســـمات البحر..ترى الأمواج تعلو وتعلو وتنطلق بسرعة نحو الشاطئ وتبتلع كل من عليه..تظل تصرخ وتقول "ولادي..ولادي".

تفيق من حلمها على أثر تجمع المحيطين بهم وهو ينظرون لها بإستغراب ودهشة..إكتشفت أنها كانت تصرخ في الحقيقة..شعرت بحرج شديد جعلها تلملم أشيائها بسرعة وهم في حالة ذهول وتأخذ ولديـــــها

ماذا جرى لأمهما..لماذا تصرخ هكــذا..قبضــت علــى أياديهمــا وإنطلقت بسرعة بعيداً عن الشاطئ.

٧

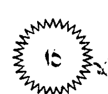
في الليل ترى الأمواج مرة أخرى في أحلامها..هــذه المــرة تــرى "عيسوي" ينقذ الأولاد من الأمواج ويأخذهما ويجري بهما..تحــاول اللحاق به..لا تستطيع..تظل تصرخ وتقول "ولادي يا عيسوي حرام عليك"..يصرخ "عيسوي" في وجهها ويجري بهما.

تستيقظ مفزوعة وتهرول ناحية حجرة الأولاد..وجدت "هدير" تنام وملابسها مرفوعة عن جسدها..تسمرت في مكانها..ثم غطتها وظلت تفكر..ثم نظرت ناحية "باهي" الذي يغط في سبات عميق..أخــذتها لتنام معها في حجرتها.

مرت الإجازة..وعادت إلى بيتها..تؤكد على سائق السيارة أن يخفف من سرعته..لا تتعجل العودة..كرهت البيت الذي تسكنه..لا تحب أن ترى الجيران.

بمجرد وصولها إلى البيت..نقلت سرير "هدير" إلى حجرتها مما دفــع "باهي" لسؤالها في براءة:-

- ليه يا ماما..أنا ما بأعرفش أنام لوحدي.



ردت عليه بعصبية كعادها:-

- اللي أعمله ماحدش منكم يعلق عليه..مفهوم.

يكتمان بكاءهما فهما يحباها وينفذان تعليماها بحذفيراها..ظلا ينظران إلى بعضهما وكل منهما يتذكر أيامهما التي بدأت منذ نعومة أظفارهما..ألعابهما المشتركة في حجرة نومهما..التليفزيون الصغير الذي يتابعان من خلاله برامج الأطفال سويا..اللوحات المعلقة خلف أسرقما لأطفال يمرحون.

كانت الليلة الأولى التي ينام فيها "باهي" بمفرده..ليلة طويلة..وجود أخته وأنفاسها معه داخل الحجرة تشعره بالأمان..أحيانا كان يحكي لها "حواديت" من خلال القصص القصيرة التي تحضرها أمه..ظل يبكي طول الليل حتى بلل فرش سريره ووسادته..في الصباح..هرولت الأم إلى حجرته..ظنت أنه قد بال على نفسه أثناء نومه لكنها أدركت أنها دموعه على فراق أخته التي ما أن استيقظت جرت إلى حجرته وأيقظته فظل يعانقها كأنها سلبت منه.

٨

ذهبت لتلقي نظرة على الفيلا بعد الانتهاء من بنائها ورافقها "طاهر"بسيارته التي اخترقت الطرق الترابية والحقول..يجول

بخاطرها عندما كانت تستقل سيارة أبيها في طريقها للحاق بالأتوبيس أو القطار للتوجـــه إلى الجامعـــة..كـــان أبوهـــا لا يجيـــد قيـــادة السيارات..دائما يتعرضون لحوادث سبحان من أنقـــذهم منـــها..في أحد المرات كانت مسافرة لحضور امتحان نهاية العـــام في الجامعـــة وتعطلت السيارة..فكاد يضيع عليها الامتحان ولكن سيارة "يوسف المنصوري" كانت تسير بجوارهما فترلت من سيارة أبيهـــا وركبـــت معه..وفي هذا اليوم أصر أن يتوجه بها إلى الإســـكندرية مباشـــرة ولم يذهب إلى عمله..كان جارهم في البلدة وكان يراقبها من بعيد..تمناها زوجة له حتى تحقق ذلك..نشأت بينهما قصة حب وقد اعتاد علـــى مرافقتها إلى الأسكندرية طوال فترة الامتحانات..ولم يـــرفض الأب زواجهما وأقامت في المدينة في شقتها الحالية..أصابه مرض مفـــاجئ فسارع بنهاية حياته بعد عام من الزواج لكنها قضت معه أجمل أيامها القصيرة.

وصلا إلى أرض الأسرة..تحت الفيلا تتوسط القرية من الناحية الغربية كما أرادت..دخلت إليها..أروع مما كانـــت تتوقـــع..تجولـــت في حجراتها وردهاتها ثم قبلت "طاهر" وقالت:-

- انت مهندس عبقري يا طاهر.

ابتسم وقال لها:-



- ولو ما كنتيش غصبتي عليا اشتغل في مصنع البلاط كان بقى عندي مكتب هندسي مافيش زيه في البحيرة كلها.

تغيرت ملامح وجهها وقالت له في عتاب:-

- أمال كنت عاوز تسيب المصنع لأخوك مروان.

قال لها معاتبا:-

- أنا مش عارف أنتي ليه دايما واخدة موقف من مروان.

هربت من سؤاله وقالت:-

- نقدر نتنقل في الفيلا من إمتى.

أطرق لحظة ثم قال:-

- من بكرة لو حبيتي..بس الولاد هيقدروا يعيشوا في الريف بعد ما أتعودوا على المدينة.

قالت بعصبيتها المعتادة:-

- دي مصلحتهم وأنا أدرى بيها.

نظر لها من أسفل عينيه فهو يفهم ما يدور في رأسها.

في اليوم التالي..شُحن العفش على الفيلا وسط ذهول ابنها وابنتها وتوجهت إلى المدرسة وسحبت أوراقهما لتحولهما في مدرسة القرية

إصطحبتهما في سيارتها وانطلقت إلى الفيلا.."باهي" و"هدير" كل منهما ينظر إلى الأخر في دهشة ثم سألاها:-

- إحنا رايحين فين يا ماما.

قالت وهي تبتسم:-

- فيلتنا الجديدة في أرض جدكم وجدتكم..بعيد عن الناس وعن عيونهم..خلاص هنعيش في الخصوصية اللي كنت باحلم بيها.

وصلوا ودخلوا الأرض واتجهوا ناحية الفيلا التي نالت إعجاب ولديها..نزلوا من السيارة ودخلوا الفيلا فوجدت "بنهاوي" الذي يشرف على الأرض وزوجته "بحراوية" قد انتهيا من فرش الأثاث..لاحظت أنهما وضعا سريري ولديها في حجرة واحدة فأعادت ترتيب الحجرات..ووضعت سرير "هدير" في حجرتها مما أصاب "باهي" بالوجوم..فحجرته تبعد عن حجرتها بمسافة كبيرة..فقال لأمه:-

- أنا هاخاف انام لواحدي يا ماما..الأوضة بعيدة عن اوضتك.

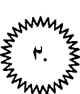
نهرته قائلة:-

- وبعدين معاك..إنت دلوقتي داخل إعدادي..يعني

عندك دلوقتي تلتاشر سنة معقول اللي بتقولـــه ده..لازم تتعود على إنك تنام لواحدك.

"بنهاوي" و"بحراوية" ظلا يتهامسان فلاحظت وأدركت ما يفكـــران فيه..فهو يعمل في أرض الأسرة من قبل أن يتوفى أبوها وأمها فهـــو يعلم الكثير عن الأسرة.

ثم خرجت مع ولديها اللذين انطلقـــا في الأرض يلعبـــان ويلـــهوان وظلت تنظر إليهما من بعيد وقالت في نفسها "أهو أنا حســـيت إني وهما بقينا في امان".



٩

في الليل بدا المكان موحشا بالرغم من أن الفيلا تحيطها الكلوبـــات الكهربية من جميع الجهات..لكن ماكينة الإضاءة التي تضيء الفـــيلا بدا صوتها مزعجاً فالكهرباء لم تدخل المنطقة بعـــد..نـــادت علـــى "بنهاوي" الذي يقيم في بيت صغير على مقربة من الفيلا..أتى مسرعا ومثل امامها كالجندي وانتظر أوامرها..فسألته في البداية أسئلة عادية عن إبنه "حسين" وإبنته "صفية" فقال:-

ـــ صفية ربنا خد بيدها وإتجوزت في أبو المطامير..معاها تلت عيال..وحسين عقبال البيه الصغير..خـــــد

ليسانس الحقوق وشغال محامي في طنطا. إتجـوز بنـت عمدة كبير من مديرية التحرير وعنده بنت قد الست الصغيرة.

ظلت تفكر لحظة قبل أن تباغته بأسئلتها التي قصدها ثم قال:-

- أهل البلد عارفين إن أنا هاعيش هنا مع ولادي فيها.



قال في تلقائية:-

- وهو في حاجة في بلدنا بتستخبى دي كلها تلت تشبار في أربع تشبار.

ثم عاودته متسائلة:-

- ويا ترى حد منهم سألك عني في حاجة.

صمت لحظة فشخطت فيه وقالت:-

- إيه ما تتكلم.

قال في تردد:-

- إنتي عارفة يا ست هانم الناس في الأرياف عندها العادة المنيلة عن السؤال عن كل حاجة.. مين راح ومين جه.. ومين كل ومين ما أكلش وأصل...

ثم قاطعته بعصبيتها المعتادة وقالت:-

- حد سألك عننا.

قال وهو يبتلع ريقه:-

- لا يا ست هانم..أنا لساني جوه خشمي وحياتي لقمة عيشي وبس.

فكرت لحظة وسألته:-

- إبنك ما بيجيش يزورك.

قال في تلقائية:-

- في المواسم والأعياد..بيجي هو ومراته وبنته في عربيته..حاكم هو عنده عربية كبيرة..أصله محامي شاطر وبيترافع في قضايا كبيرة أوي.

ظلت تفكر لحظة ثم قالت له:-

- افتكر تبقى تجيب كلوبات جاز..أصل المكنة دي مش هتخلي الولاد يعرفوا يناموا.

هز رأسه بالموافقة..يخشى أن يجاريها في أحاديث قد توقعه في الخطأ..فهو يحفظها عن ظهر قلب منذ أن كانت شابة يافعة.

قبل أن تنصرف قالت له في تأكيد:-

- لما يبقى إبنك يزورك..اديني خبر..ضروري يا بنهاوي..فاهم.



في الصباح جمعتهم وجبة الإفطار فقد أعدته "بحراوية"..ظل ولداها ينظران لها وينظران إلى بعضهما ولم يقربا الطعام..فسألتهم:-

- إيه مالكم..مش عاجبكم أكل الأرياف والا إيه..ده كله خير..قشطة وجبنة قريش وفطير مشلتت وبيض مشوي.

قال "باهي" لها خائفاً:-

- أصل أنا ما عرفتش أنام إمبارح بالليل..صوت المكنة جامد أوي.

قالت "هدير في تلقائية:-

- والناموس بيقرص جامد أوي.

توقفت عن الأكل وخرجت إلى الجنينة في عصبية وظلت تنظر لهـــا وتتذكر يوم زفافها..في هذا اليوم..أضاء والدهـــا الأرض بأكملـــها باللمبات الملونة وأحضر فرقة موسيقية وراقصة مشهورة في بدايـــة السبيعنات..يومها طلق مروان زوجته..زميلتها في الكلية ومن بلـــدة مجاورة لها مما أحزن الأم والأب وكاد أن يتحول الفـــرح إلى مـــأتم وسرعان ما دبت النيران في ماكينة النور وكادت تحدث كارثة لولا

تدخل العناية الإلهية.

أمها تبكي تارة حزنا على إبنها وتبتسم تارة لزفاف إبنتها..تشاءمت وتذكرت كلام "حجازية".

في اليوم التالي لزوجها..مات والدها..ذهبوا لدفنه وما أن عادوا من المقابر ماتت أمها في نفس الليلة ودفنوها في اليوم التالي فتضاعف حزنهم..حاول زوجها "يوسف" أن يخرجها من حزنها وعاشت معه أياما سعيدة وبمجرد مرور العام على زواجهما مات "يوسف"..أيام تحمل أحزان أثقلت كاهلها.

فاقت من مخيلتها على صوت "بنهاوي" يحضر في سيارة نصف نقل حاملاً عدد من كلوبات الجاز..ثم لمحت سيارة شقيقها "مروان" تأتي ناحية الأرض وبرفقته "طاهر"..غمرتها سعادة بالغة لم تشعر بها منذ زمن..وصلا إلى مكان الفيلا ونزلا من السيارة فصافحتهم في حرارة بالغة تعجب لها "مروان"..قالت لهما:-

- نورتم بيتكم وأرضكم.

نظر "مروان" إلى "طاهر" في دهشة ثم قال:-

- مبروك عليكي يا أختي.

قالت في حرارة:-

- مبروك علينا كلنا..آه..ماهو مش معقول تسيبوني

في حتة مقطوعة زي دي لوحدي.

قال "مروان" في نفسه "ما هو من دماغك الناشفة".

رحبت بهما ودخلا إلى البيت وجـــرى علـيــهما الأولاد كالعـــادة يقبلونهما بحرارة بالغة ولكنهما يقابلا بفتور مـــن ناحيـــة "مـــروان" ومجاملة من ناحية "طاهر".

نادت على "بحراوية" وأمرتها بإعداد وجبة غداء فاخرة..لا يلتقـــون على مائدة الطعام إلا في الأعياد والمناسبات الدينية..وســـرعان مـــا إنهمكت في إعداد الطعام مع "بحراوية" وأعدت لهم وجبـــة كـــانت أهمهم تتميز بطهيها "الأرز المعمر بالحمام".

وبعد تناول الطعام..دعى لها "طاهر" بمديد العمر وشكرها "مـــروان" لأنها أعادت ذكريات الأسرة من عمق الذاكرة.

طلبت من "طاهر أن يكلف أحد النجارين بإعداد أبواب وشـــبابيك من السلك وذلك لشراسة الناموس الذي يزعج أولادها.

وهي تودعهم على بابا الفيلا أكدت عليهم تكرار الزيـــارات فـــهي الآن تشعر بالوحدة في ذلك المكان الذي إختارته بإرادتها.

١١

المنزل أضيء ليلاً بكلوبات الجاز من داخله وخارجه وارتاحوا مـــن صوت الماكينة التي لا تعمل إلا نهاراً..اشترت بطارية للتليفزيون فهي

تحاول أن تهيأ لهم جواً مريحا..لكن الأولاد يزداد شعورهم بالدهشة كل يوم..أصوات صراصير الحقول ونقيق الضفادع تخلق جوا مروعاً بالنسبة لهم..يسألون ويكررون السؤال على أمهما..لماذا تركوا منزلهم بالمدينة؟ وهل ستدوم حياتهما في هذا السجن؟..وتكون إجابتها دائما "أنا أدرى بمصلحتكم وباللي فيه خير ليكم..وبكرة هتعرفوا لما تكبروا".

خرجوا جميعاً إلى الأرض وتنفست نفسا عميقا ثم قالت:-

- يا سلام..هو فيه أجمل من الريف وهواه وخيراته..شايفين إحنا عندنا أشجار قد إيه..شايفين البرتقال شكله جميل إزاي على الأشجار..والا شجر اليوسفي والا نخيل البلح.

فزعوا جميعا فجأة فقد طار وطواط شكله مخيف ناحيتهم..جرت بهم إلى داخل الفيلا..ظلوا ينظرون إلى بعضهم البعض في خوف وقال "باهي":-

- إيه ده يا ماما..

تصنعت الشجاعة وقالت:-

- ما تخافوش..ده..ده وطواط..ده ما بيأذيش.

نظرا إلى بعضهما البعض في استفسار فاصطحبتهم إلى الأنتريه

وقامت بتشغيل التليفزيون وحاولت أن تنسيهم ما حدث.

١٣

لم يجد النوم إلى جفنيه سبيلا..أصوات كثيرة تشبه أصوات الكــلاب ولكن نباحها يختلف عن نباح الكلاب في المدينة..قام من ســريره في حذر وسار في الردهة الطويلة حتى وصل إلى حجرة أمه..طرق الباب عدة طرقات..نهضت من سريرها وفتحت البــاب..فوجئـت بـه وجسده يرتعش فجذبته إلى صدرها وسألته في خوف:-

- فيه إيه..مالك يا باهي.

بدأت الدموع تنهمر من عينيه وقال:-

- أصل فيه صوت صحاني من النوم..صوت عامل زي صوت الكلب تحت الشباك.

ضمته إلى صدرها بشدة وقالت:-

- ما تخافش يا حبيبي..ماهو كل الأرياف ما تخلاش من الكلاب.

هي تعلم أنه عواء ذئاب فهي تعرف أن الريف مليء بهـا فتسـرب الخوف إليها هي أيضا..اصطحبته معها إلى حجرتها ونـام بجوارهـا ولكنها ظلت مستيقظة وتصارعها الظنون والأوهام..تتـذكر واقعة

عقر ذئب لأحد المزارعين وهو عائد إلى بيته ليلا..ماذا تفعل؟!.

١٣

- بندقية خرطوش..ليه يا ست هانم كفانا الشرف؟.
- أنا سألتك سؤال وتــرد عليــا..عنــدك وإلا مــا عندكــش..ولــو ماكــانش عنــدك لازم يبقــى عندك..مفهوم.

ظل ينظر لها في استفسار وقال:-

- إياكي حضرتك عاوزاهــا عشــان الديابــة..دول كتير..لو موتنا واحد النهاردة..بكرة يجــي قــده عشرات..الديب ما يإذيش غير اللي يقرب له.

قالت له في تأكيد:-

- أنا هاشتريلك بندقية خرطوش..وتيجي معايا مركــز البوليس عشان نرخصهالك.

هز كتفيه وقال لها:-

- اللي تشوفيه يا ست هانم



١٤

- الولية دي عمرها أحوالها عجيبة من وهي صغيرة يـــد بنهاوي

ظل يفكر وشرد لحظة ثم قال:-

- يعني هنعمل ايه يا بحراويـــة..دول عشـــرة عمـــر وأصحاب فضل.

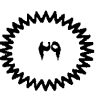
ضحكت ساخرة وقالت:-

- أصحاب فضل فين يا أخويا..ده أنت بتاخد ملاليـــم وعمرها ما زادت مليم..إيه مافيش علاوة إنصـــاف والا غلا معيشة.

نظر لها وعاد ليشرد بذهنه مرة أخرى ثم قال في تأكيد:-

- بس إحنا غرقانين طول عمرنا في خـــيرهم..أكلنـــا وشربنا من الأرض ومن غير حساب..وبنربي طيـــور وعندنا فرن بنخبز فيه عيـــــش وطـــول عمرهـــم بيجيبولنا الدقيق لا بندفع أبيض ولا اسود.

ظلت تثرثر وتلومه على بقائهما في خدمتها..ذكرته بأحوالهم الغريبـــة وذكرته بحكاية "مروان" الذي طلق زوجته بعد أن فضحـــته بين أهل



البلد فهو مصاب "بعُنة" نفسية تحول دون زواجه بطريقة طبيعيـــة..لم يكتشف ذلك الأمر إلا بعد أن تزوج..لم يقبل على الــــزواج مــــرة أخرى بل إنه أختفى عدة شهور في الأسكندرية حتى نســـى النـــاس الموضوع برمته.

ظلت تذكره بمواقف عديدة لتلك الأسرة الغريبة بدايـــة مـــن الأب والأم اللذين أشتهرا بالبخل وهاية خلفتهم.



عادت بسيارتها يرافقها "بنهاوي" حاملا بندقيته..نزلا من الســــيارة وقالت له:-

- إياك يا بنهاوي أسمع إن فيه ديب قرب ناحية الفيلا.

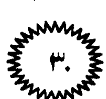
قال في تأكيد وهو يضع البندقة على كتفه:-

- تمام يا فندم..كله هيبقى تمام.

دخلت إلى الفيلا وتوجه إلى مسكنه..رآته زوجته وظلت تضحك من قلبها وقالت في تهكم:-

- ده إنت ما روحتش الجيش من أصله يا وحيد أمــك وأبوك هتتخشه وإنت عندك خمسين سنة.

ظل ينظر إلى البندقية ويقلب فيها ثم قال:-



- ولسة..ده انا هاروح اتضـــرب عليـــها في مركـــز التدريب بتاع مديرية الآمن..تقوليش هابقى شـــيخ غفر

ثم أخرج من جيبه ورقة مالية فئة عشرة جنيـــهات وناولهـــا إياهـــا وقال:-

- أدي إحنا زدنا عشرة جنيه مرة واحدة..كل شـــهر هناخد ورقة زيها زيادة عن الأجرة.

خطفت النقود من يده وقالت في تهكم:-

- وجاية على نفسها ليه آوي كدة



ظلت بجواره في حجرته حتى ينام..سمعت غطيط عـــال "لبنـــهاوي" فأدركت أنه نام بجوار نافذة حجرة ابنها "باهي" فاطمأنت وتوجـــهت لحجرتها وجلست على سريرها وظلت تفكر كعادتها فالأيـــام تمـــر سريعا وميعاد الدراسة اقترب..هي تعرف أن المدرســـة الابتدائيـــة والإعدادية مشتركة..تخشى أن تنشأ علاقـــة بـــين البنـــت وأحـــد الأولاد..ونفس الأمر بالنسبة لـــ "باهي" لا تود أن يتعلق بـــإحدى الفتيات في المدرسة المشتركة في سن تقترب من الخطورة.

غلبها النعاس ونامت حتى الصباح..سمعت أصواتا لسيارات ولعـــدد من الأشخاص..ارتدت ملابسها وخرجت لتستطلع الأمر فوجـــدت "طاهر" يترل من سيارته وترافقه سيارتان نقل بهما عدد من الأنفـــار فأدركت أن اليوم هو ميعاد جمع البرتقال.

تقدم منها وقبل يدها وقال في سعادة:-

- كل محصول وإنتي طيبة يا أختي..أول مرة من سـنين تحضري جمع المحصول.

ابتسمت وقالت:-

- ربنا ما يحرمنيش منكم أبدا يا طاهر.

صمت لحظة واكفهر وجهه فسألته عن سبب ذلك التغيير المفـــاجئ الذي اعتراه..قال لها في تردد:-

- عيسوي الحلفاوي كان عندنا في المصنـــــع وقعـــد يهلفط بكلام مش مظبوط.

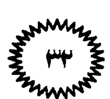
هي الأخرى تغيرت ملامحها وقالت:-

- وبعدين يا طاهر.

قال وهو يخفض رأسه إلى الأرض:-

- إديته اللي فيه القسمة والنصيب.

قالت في عصبية:-



- راجل طماع..ما بيشبعش.

صمت لحظة وقال:-

- ده كان زي المجنون لما راح لك البيت وعرف إنك عزلتي.

قالت في لهفة:-

- وإديته عنواني هنا.

قال في تأكيد:-

- لا طبعا..بس الراجل ده غريب أوي..أنا مش عارف إيه اللي في دماغه وعاوز إيه أكتر من الفلوس.

شردت لحظة وقال في نفسها "أنا عارفة هو عاوز إيه".

استيقظ ولديها وجريا عليها نظرا إلى الأنفار وهم يقطفون ثمار البرتقال فسرت نفسيتهما وجريا ليشاهدا هذا المشهد الذي لم يألفاه.



الليل أرق..تنطلق فيه آهات النفس المكبوتة..والأحلام والكوابيس التي تطاردها..إذا ما خلدت إلى لنومها على أشواك تؤرقها..نفس المشهد يتكرر.."عيسوي" يأخذ ولديها أسفل جلبابه خفية ويهرب

بهما..تظل تصرخ حتى تقع مغشيا عليها..صرخاتها في الحلم تتجسد في الواقع..يندفع والداهما ناحيتها لإيقاظها..تستيقظ وتجذبهم من أيديهم في شدة وتضمهما لصدرها..يتألمان من ضغطها لكنهما يصمتان ثم يبكيان فتبكي على بكائهما وتقول وكأنها تحتضر:-

- أروح بيكم فين..أبعد من كدة فين..هما عاوزين مني إيه..مستكترنكم عليا ليه.

عبارتها التي تخرج منها رغما عنها تجعل "باهي" يتنحى جانبا ويحاول تفسير شكل حياتهما مع أمهما..تخاف عليهما من من؟ ولماذا؟ تحاول الهروب بهما من الناس..لماذا؟..بدأت عقليته تدرك أشياء ولكن لا يفهم كنهها..فكر مرة أن يسألها عما يؤرقها ولكنه خشي غضبها وعصبيتها المبالغ فيهما..هي لم تؤذه لكنها تخيفه..لا يقوى على النظر إليها عندما تنقلب عيناها داخل جفنيها وتتحرك شفتاها بصعوبة ويتطاير الرزاز من فمها كمن سيصاب بالشلل..آثر ألا يفكر في ذلك الوضع الغامض الذي اكتشف إطاره الخارجي بحسه الطفولي ولكنه لم يفهم كنهه.

١٨

سبتمبر..الخريف يشكل لوحة رائعة الجمال على أرضهم وفيلتهم..السحب تغطي سماءها..رزاز المطر الخفيف..الريح المعتدلة

تهز أوراق أشجار الفاكهة..ميعاد حصاد الجوافة التي أضافت على ذلك المشهد جمالاً برائحتها المميزة التي تؤكد على وجود الخريف.
هذا المشهد أصاب الأم بإكتئاب فقد تذكرت بيتهم القديم..كان يقع في الناحية الشرقية من الأرض..مكون من طابقين من الطوب النيئ والأسقف خشبية..الدور الأول كان به فرن بلدي وحجرة أمها وأبيها وصالون..في الدور الثاني حجرتان..واحدة لـ"طاهر ومروان" والأخرى خاصة بها.
ذلك البيت كان ملكا لأهل أمهم..بيت الأب كان في المدينة حيث يوجد مصنع البلاط الذي ورثوه عن أبيهم..أمهم هي ابنه عمة أبيهم..أبوها صمم أن يقيم في ذلك البيت مع إبنته فإشترى سيارة كان يسافر بها يوميا من قريتهم حتى المدينة.
في الخريف كانت السماء دائما ملبدة بالغيوم..فرحت بالطيور التي تحلق حول الأرض..تداعب أبا فصاد وأبا قردان..كانت هي وأخويها خارج البيت..سمعت كركبة ثم انشقت جدران البيت وأصبح كومة من الركام وكأنه حزن على موت أبيها وأمها وزوجها "يوسف" وطلاق "مروان" من زوجته ولم يكن "طاهر" قد تزوج بعد..جمعهم البيت ثم فرقهم ثانية..حيث أقامت في شقة زوجها "يوسف" وأقام "طاهر" في شقة "مروان".



بعد عامين من وفاة زوجها "يوسف" تزوجت من "منصور هـــواري" صديق "مروان" وأحد المتعاملين مع المصنع حيث كان يعمل مقـــاولا "بأبي المطامير"..أقام معها في شقة "يوسف" بعد أن غيرت عقد الإيجار باسمها ولكن زواجهما لم يدم ستة أشهر وطلقها ثم ســـــافر ليعمـــل مقاولا في "ليبيا".

امتلأت عيناها بالدموع فجرى عليها ولداها وســـــألاها في بـــراءة وتلقائية فقالت:-

- أصل..أصل افتكرت باباكم الله يرحمه.

نظر لها "باهي" بنظراته التي بدت حائرة.



رجع "مروان" للخلف وهو ينظر له في غيظ وقال:-

- انت عاوز إيه يا راجل.إنت..انت كل شوية تنطلنا.
- أنا ليا حق عندكم..قصدي عند نادرة هانم.
- إنت ما بتشبعش فلوس.

تدخل "طاهر" في الموضوع وقال في عصبية:-

- انت واخد مني مية وخمسين جنيه الشهر اللي عدى.

ظل "عيسوي" يبكي كالأطفال قائلا:-



- أنا عندي كوم لحم..أنا ضحيت عشافهم..مش عاوز غير ياكلوا وبس.

احتد عليه "مروان" قائلا:-

- انت مش بتاخد مرتب من الدار.
- وهيعمل إيه المرتب قدام سبع بطون.
- من الآخر عاوز إيه يا عيسوي.

صمت لحظة ونظر له بعينه اليسرى التي يرى به - الأخرى ضعيفة للغاية - وقال:-

- شهرية متين جنيه على الأقل..وأشوف نادرة هانم..آه لازم أشوفها..دلوني على عنوالها هاروحلها انشالله لو في أخر الدنيا.

ظل "مروان" ينظر له ضاغطا على أسنانه ثم نظر إلى "طاهر" وقال في نفسه "إنتي اللي حطتينا في الموقف ده يا نادرة يا أم دماغ ناشفة"



ذهب لها "مروان" وإحتد عليها قائلا:-

- إنتي عاوزة تودينا لحد فين يا نادرة.
- ما عدش ينفع الكلام يا مروان إحنا في واقع ولازم



كلنا نتقبله.

- كلنا..وليه كلنا..اللي بيشيل قربة مخرومة بتسقط على دماغ صاحبها لواحدة.

نهضت في عصبية وقالت:-

- أنا ما طلبتش منك حاجة يا مروان وعمري ما هاطلب منك حاجة عشان إنت طول عمرك بعيد عني ولا كأني أختك بنت أمك وأبوك.

نهض هو الآخر في عصبية وقال لها محتدا:-

- إنتي حرة..اللي بياخده بيتخصم من نصيبك لحد ما نشوف أخرها إيه.

خرج من الفيلا مسرعا وجلست هي على الأريكة تفكر والهواجس تداعب رأسها..سنون مضت كانت قاسية بل وأصبحت أكثر قسوة..ماذا تفعل..هل تترك البلد وتسافر إلى الخارج هي وولداها؟!.

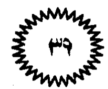


كان عليها أن تنقلهم إلى مدارس بعيدة عن البلدة..مدرسة للبنات ابتدائية ومدرسة للبنين إعدادية..اتفقت مع سائق سيارة أجرة أن يصطحبهما صباحا ويعود بهما ظهرا.

بدأت الدراسة وذهبت معهما في اليوم الأول كانت صدمة لولديها..مستوى التلاميذ متدني للغاية..ملابسهم رثة..لا يهتمون بنظافتهم..منهم من ينتعل "شبشب" في قدميه..كانوا أشبه "بالفاسوخة" بين التلاميذ..هم فقط الذين يرتدون ملابس فخمة..لكن العجيب أن مستواهم العلمي متقدم..فقر مدقع مع ذكاء خارق..هذا حال أغلب قرى مصر..على حد ما كان يسمعه من أمه عندما حضروا إلى الريف.

لم ينسجما مع التلاميذ وطبقا نصائح الأم بعدم الاختلاط..كان هينا بالنسبة لـ"هدير" لكن الأمر كان بالغ الصعوبة بالنسبة لـ"باهي" فرغما عنه حدثت ألفة بينه وبين زميل له يدعى "مهران"..ولد جميل الطالع رغم ملابسه المتواضعة وحياته الأسرية المتدنية..كان "مهران" يجيد الرسم مع إجادته للمواد الدراسية..الأول على المدرسة وترتيبه الثاني على المحافظة في المرحلة الابتدائية.

يعودان منهكان القوى عصرا يأكلان وينامان ثم يستذكران دروسهما ليلا..يشعران بالوحدة القاتلة في ذلك المكان وتلك القرية..بالرغم من أن أمهما لا تتوانَّ عن إسعادهما فكانت تأخذهما أسبوعيا لزيارة الشيخ إبراهيم الدسوقي كما كانت تفعل معها أمها..كانت تتحدث هامسة أمام المقام وتقول:-



- يا رب تثمر أوراقهم ويعوضني فيهم خير.

يسمع "باهي" عبارتها ويندهش..ماذا تعني الأوراق بثمارها؟!.



ذات يوم أثناء عودتهما من المدرسة..كان "مهران" يشعر بالتعب..هو يسكن في قرية تبعد ستة كيلو مترات عن المدرسة..يقطعهم ذهابا وإيابا سيرا على الأقدام..دعاه "باهي" للركوب معه حتى يوصله إلى قريته التي تقع على خط سير مسكنهم..رفض السائق في بادئ الأمر فأوامر أمهما محددة وعليه تنفيذها مما جعل "مهران" يشعر بحرج بالغ ولكن "باهي" رجاه أن يصطحبوه معهم وألا يخبر أمه بذلك فرضخ السائق إلى مطلبه.

ظلت "هدير" تنظر له ببراءة طفولتها وكأنها لم تر ولدا في حياتها من قبل..يلتزم "مهران" الصمت طوال الطريق ويداري ملابسه القديمة تارة وحذاءه البالي تارة أخرى.

وصلوا حتى القرية التي يسكن بها"مهران"..تعجب"باهي" للفقر الذي هو سمة أهلها وبيوتها المبنية من الطوب اللبن وشوارعها الضيقة الغير ممهدة.

عادا إلى البيت فوجدا رجلا يبدو أنه في الخمسين من عمره

يتحدث مع أمهما بحدة وظل ينظر إليهما لكنهما انصرفا بناءاً علـى إشارة من أمهما بدخولهما غرفتيهما.

خرج "باهي" من غرفته واختبئ خلـــف البـــاب وظـــل يختلـــس السمع..قالت الأم للرجل في حدة:-

- ومين اللي دلك على عنوان الفيلا.

رد عليها في عدم مبالاة:-

- اللي يسأل ما يتوهش.

نظرت يمينا ويسارا في قلق ثم قالت:-

- إذا كنت عاوز فلوس أنا هاديلك شهرية بس مـــا تجيش هنا..تاخدهم من أخويا طاهر في المصنع.

قال لها في تحدي:-

- حقي..بس ما يقلش عن تلتميت جنيه كل شهر..ده أنا عندي بطون ما بتشبعش وعـــاوزين مصـــاريف تعليم ياما والا مش عـــاوزاهم يتعلمـــوا ويبقـــوا كويسين زي ولادك.

أخرجت من صدرها مبلغا ماليا وناولته إياه وقالت:-

- خد على الله تشبع يا سي عيسوي.

خطفهم من يدها وقال:-

- أنا شوفتهم وهما داخلين..اللهم صلي على النبي..بقوا يسروا العين..ربنا يبارك لك فيهم يا ست نادرة.

خرج يجرجر أقدامه في ثقل وهي تتبعه حتى خرج من الباب..ثم جرت ناحية حجرة "هدير" فوجدتها نامت بملابسها..أما "باهي" فقد جرى إلى حجرته وتصنع النوم..دخلت عليه فوجدته نائما بملابسه هو أيضا فقالت في نفسها "الحمد لله عدت على خير".

لم توقظهما لتناول الغداء مما أصاب "باهي" بالدهشة وظل يفكر في صمت.

قاما ليلا لتناول الغداء.."باهي" يأكل وينظر إلى أمه..يريد أن يسألها عن هذا الشخص الذي كان يتحدث إليها بطريقة لم يسبق لأحد أن تحدث بنفس الطريقة إلى أمه صاحبة الشخصية القوية..لاحظت نظراته التي لم تعهدها من قبل فسألته عما يعتريه فلم يجب عليها وقام من على السفرة وتوجه إلى حجرته والحيرة والقلق يبدوان على وجهه.

نهضت "هدير" بعد تناول الغداء وقامت بفتح التليفزيون..كان فيلم "الخطايا" معروضا في هذا الوقت..فظلت تتابع الفيلم وأمها تنظرإليها وهي سارحة..ظهر المشهد الذي يصفع فيه عماد حمدي عبد

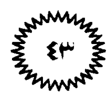
الحليم حافظ ويقوله له أنه "لقيط"..سألت "هدير" أمها في تلقائية:-

- يعني إيه لقيط يا ماما؟

نهضت في عصبية بالغة وأغلقت التليفزيون وصـــاحت في وجهـــها قائلة:-

- قومي شوفي مذاكرتك..أحسن والله هاحرم عليكـــم تتفرجوا على التليفزيون خالص.

يراقبها من بعيد ويسرح بتفكيره..يحاول الربط بين أمور في حياة أمـه منذ صغره..لماذا لم تعلق أمه صورة أبيهما..بينما تعلق صورة جـــده وجدته وخاليهما..لا يعرف شكل أبيه وكلما سألها عنه تقـــول"الله يرحمه كان راجل طيب..أنت صورة منه يا باهي يا ابني".



ليلة ضمن الليالي التي مرت في حياتها وتؤرقها..تسترجع ذكريـــات مؤلمة..يوم أن توجـــهت إلى ذلـــك المكـــان وقابلـــها "عيســـوي" بالترحاب..هول الأمر لها وقال:-

- البضاعة اللي هنا ما تنفعكيش..أنا شغال هنا مـــن عشر سنين ومشاكل ياما بتيجي من ورا البضاعـــة اللي ريحتها بتطلع بسرعة..طلبك عندي يا ســـت

هانم ومش هيكون غالي ولو غالي ما يغلاش عليكي

سمعت كلامه ووثقت فيه وطاوعته..لامها أخوها "مروان" وقال لهـا محتدا:–

- هو انتي ناقصك إيه..عندنا المصنـع وعندنـا أرض جناين مافيش زيها في البحيرة كلها..ليـه عـاوزة تدخلي نفسك وتدخلينا في مشاكل إحنا وانـتي في غنى عنها..اللي عملتيه ده حرام وربنا هيحاسـبك عليه.

تنهض من نومها وتظل تلف وتدور في غرفتها..وتكـاد رأسـها أن تنفجر من كثرة التفكير في ماضي يؤرق حاضرها ومستقبلها.

يجلس في المقهى ويضع ساق على الأخرى..يرتدي جلباب من الحرير ويجلس بجوار "صفتاوي" زوج "عطيات" الخاطبة ويعاتبه قائلا:–

- يا راجل اتقي الله..ده إنت عندك خمسة وخمسـين سنة يا عيسوي.
- وماله أنا لسة صالب طولي والا إنت غيران.
- بصراحة عطيات مراتي..مش قادرة المرة دي

تشوف الطلب اللي ٱنت عاوزه..سمعتك بقت منيلــة في بلدنا.

- شوف في أي بلد حوالينا..هي مش خاطبة وده أكل عيشها والا ٱنا سبق وضحكت عليها في حلاوتها.

نهض في عصبية وقال:-

- ده ٱنت متجوز عشر مرات يــا عيســوي..ســتة طلقتهم واتنين ماتوا بحسرتهم والإتنين اللــي علــى ذمتك بيشاوروا عقلهم..سلام يا عريس.

نظر إليه من أسفل عينيه وقال:-

- سلام يا ٱخويا هو مافيش خاطبــة في بلدنــا غــير عطيات مراتك..أنا هاروح لٱم علي بريمة.



- يا ست هانم ده ٱنا ٱول مرة أشوف الراجل ده..ولو أعرف إنك مش عاوزة تقابليه..كنت منعته..

صمتت لحظة ثم قالت:-

- هو أو غيره..أمال أنا جايبالك سلاح ليه..عشــان تصطاد بيه عصافير.

- أنا مـــش مخلـــي عنـــدي جـــهد..بـــأبص علـــى الفلاحين..وبأسهر طول الليل عشان الدية و..
- خلاص خلاص يا بنـــهاوي..شـــوف لنـــا غفـــير خصوصي يقف قدام الفيلا.
- من عنيا يا ست هـــانم..هـــأجيب نصيـــف أبـــو رغيف..فيه صحة ونظره زي الصقر..مـــن بكـــره هأجيبه واسلمه سلاحي.

صمتت لحظة ثم سألته:-

- هو إبنك المحامي ما بيجيش يزورك والا إيه.
- على العيد إنشاء الله هيجي يعيد علينا أنا وآمه.
- بس أنا عاوزاه ضروري..سافر وما ترجعش إلا وهو في إيديك.

أطرق لحظة وهو ينظر لها بدهشة وقال:-

- تؤمري يا ست هانم.



- هو إيه ده..هو بيشتغل عندها..والا هو عيل صغـير عشان تروح تسحبه زي الجاموسة.



- ياشيخة أكيد فيه مصلحة وأكيد هينوبه من الحــب جانب.
- أيوة يا بنهاوي..ضروري تفهمه إنه ياخد منها أتعابه بالمليم..بس هتكون عاوزاه ليه..هترفع قضية علــى مين..يمكن علينا.

خف في ارتداء ملابسه ولم يأبه بكلامها..لكنها عـــاودت ثرثرتهـا وقالت:-

- يكون عشان أخوها طاهر.
- وماله بقى طاهر.
- هو مش طلق مراته وبينهم وبين بعض قضايا.
- يا شيخة ده كان من عشر سنين..وكل واحــد راح لحاله.
- إنما لحد دلوقتي ماعرفناش طلقها ليه..والا هي اللــي طلقته؟!.

قال وهو ينفخ في وجهها:-

- الخلفة..الخلفة اللي مغلبة الناس في الزمن المقلوب.
- طب هو اللي ما بيخلفش والا هي.
- سيبيني أروح المشوار وأرد على طول..الطريق

وحش بالليل وانا أخاف على عربية سيادة الأفوكاتو.

٣٧

حضر مع والده ودخل الفيلا وهو يشعر بالرهبة..قابلتــه بترحــاب بالغ..ثم خرج "بنهاوي" وتوجهت مع إبنه إلى الصالون ثم ذهبـت إلى حجرتها وأحضرت محفظة جلدية كبيرة بها أوراق كثيرة وعادت إليـه وأعطته الأوراق..فظل يقلب فيها وقد تصبب جسده عرقـــا..إنــه يخافها منذ صغره ويسمع عنها من أبيه وأمه.

طلبت منه أن يحتفظ بأصل هذه الأوراق مدققا..ثم إكشفت له بعض أسرارها الخاصة وطلبت منه أن يحتفظ بأصل هـــذه الأوراق لحــين طلبها واتفقت معه عدة إتفاقات بخصوص ولديها ثم ناولته مبلغا ماليا كبيرا رفض في البداية ثم أخذه قائلا:-

- ده حضرتك صاحبة فضل علينا كلنا.

سرها كلامه فأيقنت أن أوراقها في يد أمينة..ثم دعته لتناول الغــداء معها قبل أن يعود الأولاد من المدرسة فقبل دعوتها.





في المدرسة..ذهب فراش مدرسة "هدير" يطلب "باهي" ليعود بهـا إلى البيت حيث أنها أصيبت بإغماء أثناء حصة الألعاب فذهب مسرعا وقابل مدرستها التي قالت:-

- أنا عرفت من زميلاتها إن ليها أخ اسمه باهي في المدرسة الإعدادية اللي جنبنا فبعتنالك.

ثم سألته عن اسمه بالكامل لتتأكد من شخصيته فلاحظت أن اسم والده غير اسم والدها فسألته في تلقائية فالتزم الصمت وأصابه الذهول..ثم اصطحب أخته وانتظر حضور السيارة التي انطلقت بهما إلى البيت..وعند وصولهما انزعجت الأم لحالة "هدير" فسألت "باهي" إلا أنه نظر لها وظل يبكي ثم دخل حجرته مما أثار دهشتها.

ظل يبكي في حجرته..كيف لم يلاحظ اختلاف اسم الوالدين..كم من مرات كان يراجع لها دروسها واسمهما مكتوب على الكتب والكراسات لكنه لم يفكر يوما أن "هدير" ليست شقيقته.

دخلت أمه عليه وسألته عن سبب بكائه فمسح عينيه ولم يجب..فحدثته بعصبية قائلة:-

- إيه مالك وإيه اللي جرى لأختك..رد عليا يا ولد.



عاود البكاء وارتمى علـــى الســـرير ممـــا جعلـــها في حـــيرة مـــن أمره..فخرجت من الحجرة وسارعت بـــإعداد الغـــداء ثم نـــادت عليهما..فجاءت "هدير" متكاسلة وجاء هو متخاذلا ثم جلسا أمـــام السفرة ولم يمدا أيديهما إلى الطعام..أطرقت ثم سألته بصوت حنـــون وقالت:-

- إحنا مافيش بينا أسرار ولا حواجز تمنعك تقول إيـه اللي مضايقك

فقال لها في وجهها كالقنبلة:-

- إسمي.

نهضت في عصبية ثم حاولت أن تتمالك نفسها وقالت في صـــوت خافت ومنهزم:-

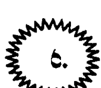
- ماله إسمك؟.

صمت ثم وضع وجهه في الأرض وقال:-

- غير إسم أختي..أنا آبويا إسمه يوسف وآبوها إسمـــه منصور.

جلست وكأن حائط قد سقط على رأسها ثم تصنعت عدم المبـــالاة وضحكت ضحكة ساخرة مكتومة وقالت:-

- وهو إنت أول مرة تعرف..إيه ما لقيتش قبل كدة



إن اسم أبوها يختلف عن اسم أبوك وفيها إيه الحكاية دي..إنكم تكونوا من أبين..لكن المهم ان إنتم من أم واحدة..أنا..أنا اللي بامثل في حياتكم الأب والأم.

نهضت من على مقعدها ودخلت حجرتها وغابت لحظة بينما ظلت "هدير" تنظر إلى أخيها في عدم إدراك لما يحدث ثم عادت ومعها حافظة جلدية معها صور أوراقها بعد أن سلمت أصولها في حافظة أخرى للمحامي..أخرجت منها شهادة ميلاده وشهادة ميلاد أخته وقالت له:-

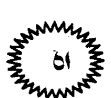
- بص..إسمك باهي يوسف المنصوري واسم الأم نادرة..ودي شهادة وفاة أبوك.

نظر من بعيد ولم يدقق بما في الأوراق..ثم أمرت "هدير" أن تنظر إلى الأوراق قائلة:-

- طبعا إنتي بتعرفي تقري..بصي وشوفي..هدير منصور الهواري والأم نادرة..أبوكي طلقني..ودي قسيمة طلاقي منه.

ظل يبكي في هستيريا ويقول:-

- يعني أختي مش من الأب.



نهرته قائلة:-

- وفيها إيه..دي أختك وإنت أخوهـا ومـن بطـن واحدة.

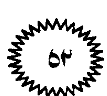
صمتت لحظة ثم قالت بصوت خافت حنون:-

- إيه اللي بيخليك تفكر في الحاجات دي وتنشغل عن مذاكرتك..أنا يا ابني ما قصرتـش في حقكـم ولا حرمتكم من أي حاجة..إنتم إخوات وأنـا أمكـم وهأفضل أمكم لحد.. ..

قاطعها في تأثر وقال:-

- اوعي تكملي يا أمي..أرجوكي إنسي إني كلمتك في الموضوع ده.

انفجرت في البكاء وضمتهما إلى صدرها.



الفراش تحول إلى أشواك توخز جسدها..تستيقظ السـاعة الرابعـة صباحا وتنظر إلى "هدير" التي تنام كالملائكة..لم تعلق على ما قالـه أخيها..التزمت الصمت كأنها تشاهد فيلم في التليفزيون..قد تكـون

مدركة لما يحدث ولكنها لا تستطيع تفسيره..قد لا يهمها من يكــون أبوها..المهم أن أمهما بجوارها..تشعرها بالأمان وتعطيها من حنــانها الفياض.

"باهي" أصبح في سن تقترب من الخطورة..ذكاؤه الحاد منذ نعومــة أظافره تجعله يلتفت إلى كل شيء..يراه دون أن يعلق عليه بطريقــة مباشرة بل يختزن ما يكتشفه في نفسه..حساسيته المفرطة تمثل حمــلا على كاهله..نام..بل غط في نوم عميق..وجد إجابة علــى بعــض تساؤلاته..فهو يكبر أخته بثلاثة أعوام لكنه لا يتذكر حمل أمه بها ولا يتذكر ولادها..آعتزلته أمه فجأة واهتمت بهــا..صغــيرة..تحتــاج رعاية..تحضر لها الألعاب..تعينها على تناول طعامها..لم يتذكر أن أمه ألقمتها ثديها..مشاجرات ومشاحنات بينها وبين خاله "مروان" الذي لم يهتم بهما يوما..حديثه معها لا يتذكر منه شيئا إلا أنه كان حادا.

نامت في ساعة متأخرة واستيقظت مبكرا فلم تستطع القيــام مــن السرير..حركة قدميها ثقيلة..فزعت ونادت على ولديها..قــامت "هدير" مفزوعة وأتى "باهي" مهرولا تجاهها..نظرت إليهما وبكــت وقالت وهي تتلعثم:-

- أنا..أنا مش قادرة أقوم يا ولاد.

انتابهما الفزع..قال"باهي" لها مرتبكا:-

العربية زمانها جاية عشان توديني المدرسة....أنا هاروح مع السواق ندور على دكتور.

مسحت دموعها وقبلته وحاولت النهوض مرة أخرى لكنها لم تستطع.

حضر الطبيب مع "باهي" والسائق..دخلوا الفيلا وتوجهوا إلى حجرتها..أجرى عليها الكشف الطبي وتبين أن القدمين سليمتان..قرر أنها حالة نفسية طارئة ستشفى منها بعد راحة قد تطول.

طلب منه "باهي" أن يكتب روشتة العلاج لكي يحضره من الأجزخانة وحدد معه مواعيد تكرار الزيارة حتى يذهب لإحضاره.

نظرت إليه وظلت تبكي فاقترب منها وقبل يدها وقال:-

ده إنتي غالية علينا أوي يا ماما.



إصطحب أخته "هدير" ورافقها بالسيارة حتى مدرستها وتوجه مع السائق إلى خاليه "مروان وطاهر" وأخبرهما بحالة أمه..نظر إليه

"مروان" وقال متعجبا:-

- والله وخلفتي يا نادرة.

سبقهم بالسيارة لإحضار أخته من المدرسة وعاد إلى البيت وسرعان ما وصلت سيارة "مروان وطاهر"..إنطلقا إلى حجرتها وما أن رأتهما ظلت تبكي فارتمى "طاهر" على يديها وظل يقبلها بينما اغرورقت عيني "مروان" بالدموع وقال:-

- شدة وتزول يا نادرة يا اختي.

قالت في إعياء:-

- ومين اللي قالكم.

قال مروان وهو يبتسم:-

- الراجل الصغير..إبنك باهي.

اغرورقت عيناها بالدموع وظل "طاهر" يجففها بيديه وقال:-

- ربنا يبارك لك فيهم.

ثم نظرت إلى باهي وقالت في دعابة:-

- انت هتعملها حلوانة في سلوانة وتغيب عن المدرسة..من بكرة تروح مدرستك..مستقبلك أهم حاجة يا إبني.

سرعان ما دبت الحركة في الفيلا.."بنهاوي" يحضر الخضار واللحم

والطيور..و"بحراوية" تجهزه لإعداد الطعام "وبنهاوي" يدعـــو لهـا بالشفاء بقلب خالص ونظيف.

٣١

تبكي في حرارة فينظر لها مستنكرا ويقول:-

- هو أنا كل ما أجيبلك فلــوس تعيطــي..إيــه يــا دولت..هو إنتي أحسن من زينــب والا عواطــف والا.. ..

قاطعته في حدة وهي في حالة انهيار:-

- والا سعدية والا نجية والا إخلاص..يا راجل ده إنت إتجوزت عليا تسع مرات..إتقي الله يا عيسوي.

إحتد عليها معترضا:-

- هو كل اللي أنا عليه ده وما بأتقيش ربنا فيكم..آهو إنتي قاعدة في بيت ملك وبنــاتك عــزة ومهجــة بيتعلموا في أحسن مدارس وبتاكلوا أحسن أكــل وبيلبسوا أحسن لبس ومالين علينا البيت بطلوعــهم ونزولهم ومرواحهم ومجيهم.

قاطعته في إعتراض:-

- سعدية ونجية ما شفوش اللي شوفته.



ما هو عشان كدة كل واحدة خدت عيالها وحلت عن سمايا وعايشين عيشة كرب..مافيش غير ولادك وولاد زينب وولاد عواطف وولاد نبوية اللي متمرمغين في نعيم..عشان فتحتم مخكم وطاوعتوني والمليان يصب على الفاضي..لحد كل عيالنا ما بقوا ماليانين..فوقي يا ولية فوقي.

نهضت في عصبية وسبته:-

إنت شيطان يا عيسوي..وربنا لازم هيحاسبك..فاهم يا عيسوي.



على فين يا عيسوي..هو النهار لسة طلع يا راجل.

إيه يا زينب..إنتي ناسية إن النهاردة أول الشهر..معاد لم الغلة..المشوار بيآخد اليوم كله والخريطة اهي..بتبتدي بالدلنجات من دمنهور لحد كفر الزيات..بلاد تشيل وبلاد تحط ونتعشى الليلة بط.

بس إوعى تتهبل وتصرف نص الغلة على كيفك

يعدل من هندامه وينظر إليها بقرف ويقول:-

- عشان أنسى..عشان أنسى إن على زمني كام بومــة يقطعوا الخميرة من البيت يا زينب هانم.
- هو كان حد ضربك على إيدك..مــا انــت اللــي اخترت الفقيرة الوحشة المقطوعة من شجرى عشان تقدر تتحكم فيها وما تقدرش تصدك.
- العيب عليا..أنا اللي خليتكم هوانم وكل واحـــدة عايشة في ملكها ووسط عيالها.
- عيالها..اسم الله يا عيالها..روح شوف مصلحتك.

خرج من البيت وأغلق الباب خلفه بشدة.



تماثلت للشفاء ورجعت الحياة تدب من جديد في البيت الذي كـــان مظلما طوال فترة مرضها..وولداها في رحلتهما الدراسية يذهبـــان ويعودان بالسيارة ودائما يصحبهما "مهران" الذي توطدت علاقتـــه بهما دون أن تعرف أمهما بتلك العلاقة التي أمر الســـائق إخفائـــها عليها لتعاطفه مع "مهران" الذي علم أنه يتيم الأب ويشرف علــــى تربيته خاله المسن.

تسأل أخويها عن "عيسوي"..يؤكدان لها أنه يأتي شهريا للحصول على المبلغ المتفق عليه ولم يعد يسأل عن أي شيء آخر.

إختلى "مروان" بها وظل يحاصرها بأسئلة عديدة ضاق لها صدرها وقالت له:-

- إذا كنت أخويا بصحيح ما تسألش عن حاجة..أنا عاملة حسابي على كل حاجة وفي وقتها هتكون أول واحد يعرف..عشان أنا لو جرالي حاجة..ولادي هيبقوا في رقبتك إنت وطاهر..والمحامي عنده كل الاوراق اللي هتخليك مطمن إنت واخوك.

أصيب بالوجوم فردها لا يقنعه..وقال لها:-

- بس أنا لو حسيت بحاجة مش مظبوطة هيبقى ليا تصرف تاني.

قالت في حدة:-

- لما ابقى أموت ابقى اعمل اللي يمليه عليك ضميرك يا مروان.



الثمار تنضج والمحاصيل تجنى..والفصول تتعاقب والسنين تتوالى..والأشجار تكبر والأولاد يكبرون.."باهي" أنهى دراسته الإعدادية ثم الثانوية والتحق بكلية الهندسة بالأسكندرية ومعه "مهران" الذي كان الأول على المحافظة ومن الثلاثين الأوائل على الجمهورية.."هدير" أصبحت فتاة يانعة..جميلة..أنيقة..حتى أنها أصبحت صورة من أمها في شبابها..أصبحت في الصف الأول الثانوي.

الأم تجاوزت الخمسين..أصبحت بدينة بما يعوق حركتها حتى ذاكرتها لم تعد فولاذية كسابق عهدها وبدأت نظرتها لأولادها تأخذ شكلا أخر فأصبحت أكثر عصبية.

أقام "باهي" في شقة الأسرة بالإسكندرية وأقام معه "مهران" وكان يتولى رعايته ماديا دون علم أمه التي كانت أحيانا تحاسبه حسابا عسيرا على ما يتقاضاه أسبوعيا بعد أن لاحظت أنه يبالغ في مصروفه الأسبوعي حينما يعود من الأسكندرية لكنه كان يتحجج بحجج واهية لم تقنعها ولكن لا بديل من تحقيق رغبته فحالتها الصحية والنفسية تحول دون تدخلها في تفصيلات ترهقها





تحلم كل ليلة بزفافهما "باهي وهدير"..ينجبان أطفالا..أحفادها الذين تسعد بهم..ثم يقول "باهي" لها:-

- إزاي إحنا إخوات وتجوزينا لبعض..إحنـــا وافقنـــا إزاي..إنتي عـــاوزة تحققـــي كـــل حاجـــة علـــى حسابنا..على حساب مشاعرنا..أنا هاطلقها.

تقوم مفزوعة من نومها وتجري في الفيلا كالمجنونة..ثم تخرج لتنـــادي على "بنهاوي" وتقول له.

- روح هات إبنك..أنا عاوزاه.

ثم تتراجع وتقول:-

- لا أنا اللي هأروحله..نبه على السواق بعد ما يجيـــب "هدير" من المدرسة يستناني عشان نسافر أنا وانت.

يهز رأسه بالموافقة.

يسافران إلى طنطا..وتطلب من المحامي أن يكونا بمفردهما..حدثتـــه في أمور جعلته يفزع منها..شك أنها أصيبت في عقلها..كتبت وصيتـــها التي إشترطت أن يتزوج الأخ بأخته حتى يحصلان على الثروة..الفيلا ونصيبهما في الأرض..ظل يهاودها وأخذ منها الوصية وإحتفظ بها

إرضاء لها..ثم غادرت المكان بصحبة "بنهاوي".

في صباح اليوم التالي..ذهبت إلى صندوق التوفير وسحبت ما إدخرته لهما بما يقدر بمائة ألف جنيها.

المحامي ظل يقلب في أوراق "نادرة"..كلها تناقضات..شهادة ميلاد "باهي" تؤكد أنه نسب إلى أبيه بعد وفاته بعدة سنوات..شهادة ميلاد "هدير" تؤكد أنها نسبت إلى أبيها بعد تطليق أمها بعدة سنوات..إنه يحمل أمانة بين يديه ولكنها غير حقيقية..شك في صحة شهادات الميلاد مما جعله يسافر ليلا إلى أرض "نادرة" بعد أن تأكد أنها نامت هي وابنتها ووجد والده مازال ساهرا أمام باب الفيلا..ما أن رآه تعجب..انطلق ناحيته فقال له هامسا:-

- إركب يابا العربية وتعالى معايا..هنروح مشوار مش بعيد.

ركب "بنهاوي" بجوار إبنه وهو في حالة ذهول وسأله:-

- خير يا إبني..إيه اللي يخليك تيجي الساعة دي وتعرض نفسك للخطر..إنت مش عارف ان الطريق كله مكسر.

مسح جبينه وبدا مرتبكا وقال:-

- والله يابا الست اللي إسمها نادرة دي حكاية..أوّل

مرة يتعرض عليا موضوع ملخبط زي موضوعها..كل ورقها شكله غريب ومريب.

إبتلع ريقه وقال متسائلا:-

- فيه إيه يا إبني..إنت وغوشتني كدة.

إستدار ناحيته وأخرج دفتر ورق وقلم وقال له:-

- أنا هاسألك عن شوية حاجات وحاول تفتكر..يعني ترجع بذاكرتك من أول ما الست دي اتجوزت الجوازة الأولى اللي جوزها مات بعد سنة..وجوازها التانية اللي جوزها طلقها.

ظل يضغط على رأسه وحاول أن يتذكر وقال:-

- يا بني ده من زمن بعيد..أنا مش زي الأول ما بقتش بافتكر حاجة.

قال له في حدة:-

- لأ يابا..إنت لازم تفتكر..وتفتكر كويس كمان.

وجم الأب لحظة ثم بدأ يتذكر أشياء ويربط بين بعضها البعض وقال:-

- هي ما خلفتش من الراجل الأولاني اللي مات..إنما جوازها التانية كانت بعد ما راحت تقعد في البندر



سأله في تأكيد:-

- يعني إنت يا با ما شوفتهاش حامل.

قال في تلقائية:-

- لأ يا ابني.

وضع يديه على رأسه وقال:-

- دي مصيبة..الست دي واقعة في مصيبــــة..كــل أوراقها مزورة..والعيال دول ما يمتوش ليها بــأي صلة.
- يا ساتر..الكلام ده جبته منين يا حسين يا إبني.
- إنت ناسي يابا إن ورقها كله عندي.
- يعني طالبة منك ترفع قضية؟
- لأ يابا أنا وكيلها في كل أعمالهـا وأموالهاوكمـان ولادها.
- طب ما بلاش من الموضوع ده يا إبني..ورجعلـها ورقها وإذا كان عليا آنا وأمك فرزقنا على الله .
- يابا إنت بتقول إيه..ده إنت وأمي فوق دماغي ..إنتم اللي رفضتم تعيشوا معايا.
- طب والحل إيه يا إبني..وأنا مطلوب مني إيه

ظل يفكر فترة ثم قال في إنهزامية:-

- أنا هأتصرف.



نجحت "هدير" في الثانوية العامة وقبلـــت بكليـــة الآداب جامعـــة الإسكندرية وأصبح "باهي" في السنة الرابعة..تفـــوق "مـــهران" في دراسته فكان الأول على دفعته في الثلاث سنين الأولى.

حالتها الصحية والنفسية تزداد سوءا يوما بعد يوم..ذاكرتها أصبحت ضعيفة إلى حد كبير.

كان على "هدير" أن تقيم مع أخيها في شقة الإســـكندرية..كـــان الموقف محرجا لـ"باهي" فقد اضطر "مـــهران" للإقامـــة في المدينـــة الجامعية..وفوجئ "باهي" بأن أمه تطلب منه الإقامة في مسكن أخـــر فتعجب لطلبها وسألها فقالت في عصبية:-

- ماعدش ينفع تقعد مع هدير تحت سقف واحد.

ظل ينظر إليها في دهشة..لماذا لم تقل أختك وقالت "هدير"..ولمـــاذا هذا التصرف منها؟!.

إنتقل إلى المدينة الجامعية مع صديقه "مهران" الذي سعد بجيرتـــه في

الحجرة لكنه تعجب لماذا يترك شقته وحاول أن يسأله لكنه صمت.



في الجامعة..كانت "هدير" سعيدة..فهي ترى أخوهـــا و"مـــهران" يوميا..وخاصة "مهران" الذي تعلق قلبها به منذ الطفولة..لكنـــه لم يشعر بحبها فهو لا يشغله شاغل سوى دراسته.

طلبت من أخيها أن يصطحبها إلى البيت حتى يتناول الغداء معـــها ومع أمه لكنه رفض وقال له أنه يكتفي بزيارتها أسبوعيا ثم التزم كـلـ منهما الصمت إزاء تصرف أمهما العجيب لكنهما يلتمســـان لهـــا الأعذار بعد إعتلال صحتها جسديا ونفسيا.

ظل ينظر إلى أخته مدققا فوجدها صورة قريبـــة إلى أمـــه إلى حـــد كبير..هذه المرة الأولى التي يدقق فيها ثم باغتها متسائلا:-

- تفتكري يا هدير ماما مخبية حاجة عننا تخص حياتنا.
- أكيد..أصل أنا لاحظت عليها حاجات غريبـــة في الفترة اللـــي أنـــت كنـــت فيـــها في إســـكندرية لوحدك..وساعات تقوم من النوم تقول أسماء غريبـــة وحكايات غريبة وكأنها مخدرة ولما أسألها تقولي مـــا

تشغليش بالك غير بمذاكرتك ..أنا عاوزاكي تخلفي إنتي وأخوكي بسرعة عشان أفرح بيكم في يوم واحد.

أطرق قليلا ثم قال:-

- ربنا يستر.



صوته يرجع في أذنيها..يحذرها من أن تتبنى طفلا من دار الأيتام..أكد لها أن مشاكل كثيرة تعود على أصحابها من جـراء ظـهور أسـرة الطفل..تأخذه ممن تولت تربيتـه بعـد تبنيـه..يصـل الأمـر إلى المحاكم..أخافها وعرض عليه عرضه بخبرته كموظف في الدار منذ أن أنشأت فقال:-

- أنا هأجيبلك ولـد يتيـم الأب والأم ولا وراه ولا قدامه مشاكل..هأخلي شهادة ميلاده باسـم الأب اللي تختاريه وباسمك كأم ليه.

تذكرت عندما أحضر لها "باهي" طفـل جميـل ووديـع..قليـل البكاء..أخذته وذهبت به إلى شقة الإسكندرية..عندما عادت بـه إلى بيتها..لم تسلم من ألسنة الجيران..إحداهما تقول لجارتهـا بصـوت مسموع:-

- دي ما بتخلفش يا إختي..جابته منين ده..ده جوزها الأولاني مات والتاني طلقها عشان ما بتخلفش.

ترد عليها الأخرى قائلة:-

- تلاقيها جايباه من الملجأ..ربنا يستر عبيده.

تظل تبكي كأنها سرقت الطفل..ثم يأتي لها "مروان" ويلومها ويقول لها أن شجرة العنب لم تطرح إلا أوراقهم وأن أمهما لم تترك شيخا إلا وزارته..أكد لها أن أشجارهم..هي وهو و"طاهر" لن تثمر..حذرها من خطورة هذا الأمر وما يترتب عليه من مشاكل في المستقبل وقال لها في تحدي:-

- إعملي حسابك..الغريب لا يمكن يطول حاجة من شقانا ولا شقى أهالينا..لا له حق في ميراث او مال يخصنا.

كانت تصرخ في وجهه وتقول:-

- إنت إيه يا اخي..ما بتحسش..أنا عطشانة وجعانة لطفل يونسني في وحدتي بعد ما سيبتوني لواحدي..نفسي أسمع كلمة ماما.

ثم عادت بالذاكرة مرة أخرى حينما ذهبت إلى "عيسوي" ليحضر لها طفلة..فأحضر لها"هدير" في عمر شهرين..كانت أيضا جميلة ووديعة

كان "باهي" بلغ ثلاثة أعوام وتكررت نفس المأساة مع جيرانها وشقيقيها.

وقتها دهش "باهي" رغم صغر سنه من تلك المولودة وسأل أمه في تلقائية:-

- دي مين يا ماما.

قالت له في تأكيد:-

- دي أختك يا حبيبي.

عاود السؤال في تلقائية:-

- وهي كانت فين يا ماما.
- كانت في بطني..ما هو الأولاد بيبقوا في بطن أمهم وبعد كدة بيولدوهم.

تتذكر "عيسوي" الذي ظل يتردد عليها لأخذ وهبة لتعينه على الحياة ثم صارت فردة فرضها عليها..ظل يؤرقها ويلمح لها أحيانا أن أولادها لهم أقارب ظهروا فجأة ويسألون عنهم فتغدق عليه لإسكاهم.



لم تترك طبيبا مشهورا أو مغمورا الا وعرضت نفسها عليـــه أثنـــاء زواجها الأول والثاني..وجميعهم أكدوا لها الها لن تنجب أبدا.

"مروان" يطمع في ثروتها وفي نصيبها في المصنع والأرض.."طـاهر" لا يهمه ذلك الأمر فهو يحب أخته ولا ينسى فضلها عليه.

خواطر كثيرة دارت في نفسها وبـــدأت الأحـــلام تطاردهـــا مـــن جديد..بُعد "باهي" عنها جعلها تخاف عليـــــه..تخشـــى أن يصيبـــه مكروه..فكرت في أن تعيده ليقيم معهما ولكن ذلك الأمر يتعـــارض مع ما تخطط له من إتمام زواجهما من بعضهما حتى لا تضيع الـــثروة في أياد الغرباء.

كيف تفاتحهم..كيف تفاجئهم..كيف سيستقبلون ذلك الخبر إذا مـــا طلبت تنفيذ ما تربوا إليه.."باهي" غضب غضباً شديداً عندما علـــم أن "هدير" أخته من الأم فقط..ماذا سيفعل عندما يعلم ألها ليســـت أخته..كيف ستكون زوجة له وقد تربيا على ألهما أخوان..نـــامت وظلت تبكي..هل هي قد أخطأت بكفالة اليتيمين؟!..أم ألها تجاوزت حدود المنطق والطبيعة والدين.



نهضت "نادرة من نومها قبل أن تتوجه"هدير" إلى الكليـــة صباحـــا واندفعت ناحيتها وسألتها عن "باهي" فطمأنتها عليـــه..طلبـــت أن تشتري له تليفونا محمولا – في بداية ظهوره – باسمه وتعطيه إياه حتى تستطيع الاتصال به..فرحت "هدير" وقالت:–

- وأنا يا ماما..ماليش واحد..
- هو يجي تمنه كام يا حبيبتي.
- بالخط بتاعه حوالي تلت اربع تلاف جنيه.
- خلاص واشتري واحد كمان ليكي باسمك..خـــدي معاكي عشر تلاف جنيه.

راحت تقبل أمها وتقبل يديها وقالت:–

- يا رب ما يحرمنيش منك يا أحسن أم في الدنيا.

ردت عليها في شجن.

- ويخليكم ليا يا ولادي.



في ليل مظلم..يسير في طريق مملوء بحصى غليظ..يقع على الأرض

ثم ينهض ويحاول السير فلا يستطيع ويتعثر عدة مرات..ثم يجد لحم جسده يتساقط منه قطعا..قطعا..كلما حاول لململته يجد قطع أخرى تسقط من جسده ثم تأتي الذئاب تعوي..وتأكل اللحم المتساقط ثم تهجم عليه وتنهش المتبقي من لحمه..نهض مفزوعا وصرخ فجرت عليه زوجته وقالت:-

- بسم الله الرحمن الرحيم..مالك يا عيسوي.

يتنفس بصعوبة ويقول:-

- كابوس..كابوس فظيع..ديابة بتاكل في جسمي واللحم عمال يسقط مني لوحده.

نظرت إليه نظرة ذات مغزى وقالت:-

- يا ساتر يا رب..ده الحلم مفسر نفسه.

نظر إليها في غيظ ونهرها ثم نهض من فراشه يترنح ولا يقوى على السير ثم عاد مرة أخرى إلى فراشه ونام.



- أنا كان قلبي حاسس إن سكة نادرة غلط وورقها كله مضروب ويدخلها السجن مش كدة يا أستاذ حسين.

ابتل جسده عرقا وقال:-

- انا بأكلمك يا أستاذ مروان بصفتي إبن الراجل اللي خدمكم طول عمره..مش بصفتي المحـــامي بتاعـــها ولعلمك لو كانت أوراقها ســـليمة مـــن الناحيـــة القانونية كنت هأحتفظ بالسر لان مهنتي تفـــــرض عليا كدة..وما كنتش هأقولك.

قال "طاهر" وقد بدا عليه الخوف:-

- يعني إيه..نادرة في خطر يا أستاذ حسين.
- أنا ياما حذرتها..ولعلمكم أن مش ها آمن للعيـــــال اللي طلعولنا شيطاني دول انهم ياخدوا حاجة مـــــن حقي وحقك يا سي طاهر..ده ما يرضيش ربنا.
- دي كفلت يتامى يا مروان..يكون ده جزاءها.
- كفلتهم غلط..وآدي اليتامى لا عارفين أهاليهم مين ولا هم مين.
- عيسوي هو اللي يعرف أولهم من أخرهم.

قال المحامي باهتمام:-

- مين عيسوي ده وإيه علاقته بالموضوع,

قال "مروان" وهو يضغط على أسنانه:-

ح أس الفساد..موظف في الملجأ والعيال دول مش من الملجأ ما أعرفش جابهم منين.

ظل المحامي يفكر وقد تغيرت ملامح وجهه بعد أن أدرك أنـــه أمـــام جريمة تزوير في أوراق رسمية..جريمة كاملة وهي الطرف الأول بها.



نُقلت إلى المستشفى بالإسكندرية..أصيبت بجلطة في القلب من جـراء الظروف التي تعيشها..والأسرار التي تملأ حياتها وتضغـــط عليـــها بشدة.

رافقتها "هدير" وظلت معها في المستشفى وأبلغت شـــقيقها علـــى المحمول لاستدعائه فجاء على الفور.

دخلت العناية المركزة ومنعت عنها الزيارة ..جلست "هدير" علـــى مقعد بجانب الغرفة لتراها من بعيد..عيناها تكاد تقطر دمـــا فـــهي الشيء الوحيد في حياتها وحياة أخيها.

المكالمة الثانية كانت لخالها "طاهر" في المصنع..جاء برفقة "مــروان" على وجه السرعة..شعرا أن نهايتها تقترب..ســـتتركهما ليواجـــها مشاكل تركتها لهما..فكر "مــروان" أن يفـــاتح ولديـــها بحقيقـــة أمرهما..لكن "طاهر" تنبه إلى ما يفكر فيه فمنعه من أن يتخـــذ قرارا



يظلم ولديها اللذين ليس لهما حول ولا قوة..لكن "مهران" يؤكد لـ"طاهر" أنهما لن ينالا شيء من مالها ولا من مالهما.

"طاهر" يلح عليه ألا يفتح هذا الموضوع على الأقل في الوقت الحالي بل أنه حذره أنه سيكون في صفهما وقال له:-



أنا لا بقيت أب ولا عم..لكن بقيت خال حتى لو كان بالكذب لازم يكون فيه قيمة في حياتنا..ومالنا مافيش حد هيورثه..فلوسنا هتروح للدولة..هما أولى.

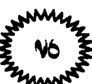
لكن "مروان" كان مصرا على رأيه وقال:-

ده مش هيحصل طول ما أنا عايش..مفهوم يا طاهر

44

اضطر "باهي" أن يعود إلى شقة أمه ليرافق أخته التي أصبحت وحيدة بعد وجود أمهما في المستشفى..كانت تذهب إلى أمها في المستشفى صباحا وتعود ليلاً.

نقلت الأم من العناية المركزة إلى حجرة بالمستشفى..بمجرد أن فلقت الأم سألتها عن "باهي" فقالت أنه عاد إلى المنزل وكان يقيم معها خلال الفترة السابقة..فكادت أن تفقد أعصابها وقالت:-



- ما ينفعش..ما ينفعش يا بنتي.

لم تفهم "هدير" ما تقصده وظلت في حيرة من أمرها..لماذا لا تريد أمها أن يجمعها وأخيها بيت واحد بعد أن أصبحا كبارا.

قالت في إعياء:-

- إتصلي بخالك طاهر..وخليه يروح للأستاذ حسين بنهاوي.

سألتها في تلقائية:-

- مين الأستاذ حسين بنهاوي.

قالت في عصبية مرة أخرى:-

- اعملي اللي بأقولك عليه من غير كتر كلام.



- المحامي ده أي كلام..أنا هاقوم محامي عشان يحجر عليها.
- على أختك يا مروان.
- عمرها ما حسستني إنها أختي..طول عمرها دماغها ناشفة ومتسلطة.

ظل "طاهر" ينظر إليه في ذهول وقال:-

- إحنا كبرنا يا مروان والباقي من عمرنا.. ..

قاطعه في حدة قائلا:-

- اللي باقي من عمرنا ماهوش قيمة زي اللي فات من عمرنا..إحنا جيفة وعيلتنا ملعونة..الحقيقة الوحيدة في حياتنا إننا عايشين اللحظة دي وبفلوسنا..بنمتع نفسينا بيها بمتع كدابة صحيح لكن أهي متع.

- ما تيأسنيش في حياتي يا مروان.

ظل يضحك ساخرا وقال:-

- أنا يا عبيط بأوعيك..قبل السكينة ما تنزل على رقبتنا ونلاقي ولاد الزرع الشيطاني شركا معانا في المصنع والأرض والفلوس..فاهم يا ابن أمي وأبويا.

٤٦

حضر المحامي ودخل حجرتها..تأثر لحالتها..تصادف وجود "باهي" برفقة أخته "هدير"..ظل ينظر إليها في أسى وحزن..كانت مستغرقة في النوم.

عرفهما بنفسه ثم إستيقظت على أثر حديثهم..ثم نظرت إلى المحامي وقالت:-

- حمد الله على السلامة يا أستاذ حسين..إزي أبـــوك وأمك.
- كويسين بخير طول ما إنتي بخير يا ست الكل.

ثم نظرت إلى "باهي" و"هدير" وطلبت منهما أن يتركوها مع المحـلمي وحدهما وما أن اطمأنت لخروجهما من الحجرة إلا وقام بغلق البـاب وسألها:-

- مين عيسوي يا مدام نادر.

قالت في إعياء وهي تضغط على أسنانها:-

- راجل أفاق..جبان..مبتز..هو اللي وقعني الوقعـــة الأولى لما جاب لي باهي وقالي إنه يتيم ومقطوع مـن شجرة..ووقعني الوقعة التانية لما جابلي هدير وقـالي نفس الحكاية وبعد كدة قعد يهددني إن ليهم قرايب وبيسألوا عليهم..سود عيشتي وعيشني في خـوف ورعب..بيطاردني في صحوي ومنامي.

أشفق عليها وقال:-

- خلاص بلاش نجيب سيرته..أنا تحت أمرك يا ســت الكل.
- طبعا إنت عارف إن كل ورقي.. ..

قاطعها مؤكدا:-

- عارف..وده اللي مخليني مش عارف أتصرف.

قالت في تأكيد:-

- آنا عارفة..عشان كدة هاسلمك كل فلوسهم اللـــي معايا..وتسلمهلهم نقدية..والفيلا لازم تشوف لهـــا مشتري..وتجمد فلوسها معاك هـــي وحتـــة الأرض اللي تخصني حسب عقد الملكية اللي متحـــدد فيـــه نصيـــبي بـــالفدان والقـــيراط والســـهم..أمـــا المصنع..العوض على الله في نصيبي فيه..أهو مـــيراث لاخواتي.

- بس الأستاذ مروان...

قاطعته في حدة قائلة:-

- ولا يهمك منه..أنا عارفاه..لما يتحط قـــدام الأمـــر الواقع مش هينطق..والبركة فيك..أهم زي آولادك.

ظل واجما لحظة ثم قال:-

- والموضـــوع اللـــي قولتيلـــي عليـــــه بتـــاع جوازهم..هافاتحهم فيه إزاي يا ست الكل؟!.

- أنا عارفة إنها هتبقى صعبة عليهم..لكن مصلحتهم

أهم..لو اتجوزا من أغراب هيضيع كل اللــــي عملتــه علشانهم وهتضيع الثروة.

٤٧

- أنا قولت إنها اتخبلت في عقلها..تبيع الفيلا ونصيبــها في الأرض عشان النبت الشيطاني يا أستاذ حسين.
- أنا قولت أخد رأيك قبل ما اتصــرف يــا اســتاذ مروان.

نظر إلى أخيه "طاهر" لحظة وقال:-

- ايه رأيك يا سي طاهر ياللي حاطط إيدك في الميـــة الباردة.
- إحنا نشتري نصيبها من الأرض والفيلا..بدل مــا تروح للغريب.
- ونجيب المبالغ دي كلها منين.

فكر المحامي لحظة وقال:-

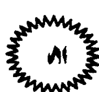
- أنا عندي مشتري..راجل موثوق فيه..وساعة لمــا تفكروا تردوا الأرض والفيلا يآخد المبلغ اللي دفعــه لا أكتر ولا اقل.



- طب وشقة اسكندرية يا آستاذ حسين.
- والله هي إيجار وعقد الايجار بإسمها يا آستاذ مروان.
- وطبعا مش هتقدر تحول العقد بإسم إبنها وبنتها آوَلا لانهم لسة ما بلغوش سن الرشد..ثانيا لان أي عقد بإسمهم هيبقى مش مظبوط..لأن أسمائهم وهمية..وشهادات ميلادهم مضروبة.

ظل يفكر لحظة ثم قال:-

- نسيبها لابن صاحب الملك ونآخد مبلغ منه..والراجل ما هيصدق الشقة لو إتباعت مش هتجيب آقل من ميت الف جنيه.
- لأ لأ يا إستاذ حسين..أنا مش موافق على المهزلة اللي بتحصل قدام عنينا وإحنا واقفين نتفرج.



- يا راجل إنت فيك نفس تسافر والا إنت حمل مصاريف السفر
- واجب يا بحرواية..الست بقالها شهر في المستشفى مافيش حد مننا سأل عليها.

- وفكرها بشهريتك..إنت بقالك شهرين ما قبضتش
- وده وقته يا بحراوية.

ظل يتذكر مشواره مع هذه العائلة عندما كان صبيا..عندما ألحقه خاله -الذي كان يعمل بالأرض- بالعمل في أرضهم..بعد أن بلغ به الكبر..أيام جميلة بحلوها ومرها..لولا هذه الوظيفة ما كان علم إبنه وأصبح محاميا..وما كان زوج إبنته..فانطلق يرتدي ملابسه ويستعد للسفر إرضاء لضميره وحفاظا للجميل.



توجه ناحية الفيلا..وجد نوافذها مغلقة والحارس يجلس على مقعد بجوار الباب ويضع رأسه بين يديه ويبدو مكفهر الوجه..إقترب منه وألقى السلام فنظر إليه وقال:-

- يحنن يا سي عيسوي.
- تقصد إيه يا مغاوري..أمال الست فوقية مش موجودة.
- سافرت على مصر.
- ومعاها يوسف.

ضحك ساخرا وقال:-



- يوسف..الله يرحمه.

بدا "عيسوي" مفزوعا وكل جسده يرتعش وقال:-

- بتقول إيه يا مغاوري
- زي ما بأقولك..هو فيه حد بيكبر على ربه يا سي عيسوي
- وازاي ده حصل وإمتى.
- من تلت أيام..كانوا بيصيفوا في الساحل الشمالي وغرق قدام عنيها..الولية جالها ذهول..خدته على مصر ودفنته هناك مع إخواله وخالاته.

ظل يلطم ويقول:-

- لأ..لأ..يا خراب بيتك يا عيسوي
- سبحان الله..كل ده عشان الكام ملطوش اللي بتأخدهم كل أول شهر يا راجل يا ناقص.



- دلوقتي حرقك ضناك والا صعبان عليك الفردة..أمال لما أمه تعرف هتعمل إيه..الله يكون في عونها.



- راعي الظروف اللي أنا فيها يا ولية..هو لو كـــان ابنك كنتي شمتي فيا بالشكل ده.

- اسم الله يا أخويا..يعني أنا مش موجوعــة..مــاهو حالنا كلنا من بعضه.

عاود البكاء وظل يردد في ذهول:-

- بقى بعد ما بقى شاب يسر العين..ينخطف بالشـكل ده.

- ياما قلتلك اتقي الله يا عيسوي.

- كفاية بقى حرام عليكي

- حرام عليا ولا عليك يا عيسوي.

نهض من رقدته وفزع فيها:-

- والله لو كترتي في الكلام لأكون مطلقك الســاعة دي.

- طب لو إنت راجل بصحيح إعملها وأنــا هأســود عيشتك أكتر ما هي إسودت..ولسة..يا ترى يا زمن مخبي لنا إيه إحنا كمان.

عاود البكاء مرة أخرى وظل يلطم وجهه

- إنت هتفضل تحرقا في نفسك كدة يا مروان.
- أمال عاوزني أعمل إيه أقعد اتفرج على ورث أهالينا اللي شقوا بيه واللي هيطير من إيدينا يا سي طاهر.
- طب أقعد وإهدى وكل عقدة وليها حلال.
- لأ أنا هأسافر دلوقت.
- الساعة إتنين الصبح يا ابن الحلال..النهار له عنين.

لكن "مروان" صمم أن يسافر لأخته في تلك الساعة المتأخرة..النيران تأكل في جسده والشر بدا في عينيه..يريد أن يهدم المعبد على رأسها ويفضحها ويفضح أمر أولادها التي كابدت طوال عمرها حتى تبقى علاقتها بهما سرا لا يكشفه أحد.

لم يمهله القدر أن ينفذ ما يصبو إليه..اصطدمت سيارته بسيارة نقل كانت أنوارها مطفأة..مات وثورة غضبه قبرت داخل أحشائه التي تمزقت في هذا الحادث المروع.

علم "طاهر" بالحادث مع شروق يوم جديد سيحمل الكثير في طياته..إنتقل إلى المستشفى وإستلم جثته لدفنها..دفنها وحده دون مشيعين أو معزيين..ظل يبكيه وتمنى أن يغفر الله له على نواياه التي

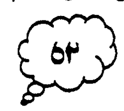
كانت تحوي الكثير من الشرور.

لم يخبر أخته بوفاته خوفا على صحتها..زارها فوجد المحامي الذي علم بما حدث لـــ"مروان" من أبيه الذي علم بالخبر في اليوم التالي..تحدث مع المحامي في أمور كثيرة..قال له المحامي:—

- سبحان الله..المركب مالت لمصلحة الولد والبنـــت والست نادرة هتورث في نصيب أخوهـــا مـــروان ويمكن يروح للولد والبنت.

قال "طاهر" في تأكيد:—

- طبعا..كل حقوقهم محفوظة..إحنا هناخد من الدنيـــا إيه..مش أكتر من تلت أو أربع ســـاعات..كـــانت نهاية مروان..ثورته كانت في ليل يوم جديد وإدفنت معاه في شمس نفس اليوم..٢٠/١٢/١٩٩٧



تراه قادما نحوها..يقبل يديها ثم جبهتها..يبكي بحرارة ويقول لها:—

- أوعي تزعلي مني يا أختي..إذا كنت ضايقتك.
- معقول الكلام اللي بأسمعه منك يا مروان.
- وهتسمعي أكتر من كدة يا أختي..كل اللي



هيريحك هاعملهولك..ولادك هما ولادي..هاحطهم في عيني.

تبكي وتمسك بيده وتقبلها وتقول:-

- عمر الدم ما هيبقى مية يا أخويا..مع إن أنا غلطت وهاودت عيسوي وما رضيش أكفل يتامى بالطريقة القانونية.

ينظر إليها ويبتسم معاتبا ويقول:-

- مع إنك ناصحة..أنصح واحدة فينا يا نادرة..أبوكي وأمك كانوا دايما يقولوا كدة..ده غير إنك متعلمة تعليم عالي..إزاي واحد زي ده يضحك عليكي.
- خلاص يا مروان مافيش داعي للعتاب..اللي حصل حصل..إعذرني يا أخويا..كان نفسي اسمع كلمة ماما.

استيقظت من النوم على صوت "هدير" يناديها:-

- ماما..معاد الدوا.

نظرت إليها في ذهول وبدت مذهولة وقالت:-

- اتصلي بخالك مروان..أنا عاوزة أشوفه..نفسي أشوفه.



امتلأت عيني "هدير" بالدموع فقد أحاطها خالها "طاهر" بما حدث لخالها "مروان"..دارت دموعها وحزنها على خالها عن أمها..لا يريدون أن تتدهور حالتها الصحية لو علمت بالخبر وقالت:—

— حاضر يا ماما..أنا هاتصل بيه على طول.

٥٣

ظل أمر وفاته خفيا عليها..كثير من الحجج الواهية من ولديها ومن أخيها "طاهر"..مرة يقولون لها أنه مصاب بالبرد ومرة أخرى أنه سافر إلى ليبيا للاتفاق على تصدير كمية من البلاط..لكن قلب الأخت كقلب الأم..تشعر أن هناك أمرا يخفونه عنها..صحتها لا تسعفها على التفكير..يتكرر الحلم الذي تراه فيه يستسمحها عما بدر منه حيالها..تظل تبكي وهي نائمة وعندما تستيقظ يلاحظ ولديها الدموع التي تنساب من عينيها..يبكيان هما الآخران..شقيقها..وكلا منهما يعلم مدى العلاقة بين الأخوة فكل منهما يحب الآخر أكثر من نفسه..عندما كبرا شعرا بمعنى الأخوة التي تجمعهما..حتى لو كانت تلك الأخوة من الأم فقط.

بات الخال "طاهر" للاطمئنان عليها..يلاحظ أن حالتها غير مستقرة..فيظل ينظر إلى أبنائها..ماذا لو ماتت..كيف وأين سيعيشون



حتى يكملان مشوار تعليمهما..خشي أن تحدث خلافات مع صاحب العمارة التي يقطنون بها مع أمهما.



سافر إلى المحامي وظل يتحدث معه في أمور كثيرة فاتفق معه أن يترك الشقة للمالك بمقابل التوكيل الذي أعطته إياه لكنه خشي أن تغضب حينما تتماثل للشفاء..غير أنه قد تصرف في التنازل عن الشقة بالمقابل الذي سيتفق عليه مع المالك ثم قرر أن يؤجل ذلك الأمر حتى يفاتحاها في موضوع الشقة.

تطرق حديثهما إلى المدعو "عيسوي" فأخبره "طاهر" أن ذلك الشخص يأتي لها شهريا ليحصل منها على مبلغ شهري بحجة أنه يعرف أهل ولديها وأنها تشتري سكوته بهذا المبلغ فقرر المحامي أن يسافر إلى "عيسوي" ليعرف بعض الأمور منه.

توجها إلى بلدته وتقابلا معه..بدا عليه الاضطراب حينما علم أن الشخص المرافق لـ"طاهر" يعمل محاميا فسألهم عن سبب الزيارة فطلبا منه أن يتحدثوا سويا بعيدا عن منزله..فدعاهم إلى المقهى الذي إعتاد الجلوس به..قال له المحامي أنهما حضرا بشأن "هدير" و"بلهي" فتغيرت ملامح وجهه وظن أنه حدث لهما مكروها فأخبره



المحامي أن الست نادرة ترغب في زواجاهما من بعضـــهما فصـــرخ الرجل وقال:-

- ماينفعش .
- ليه ما ينفعش يا عيسوي.
- لأنهم أخوات بالفعل.

أصابهما الذهول وشعرا أنهما أمام رجل مراوغ فسأله المحامي قائلا:-

- وإيه اللي يثبت إنهم أخوات.
- أنا اللي أثبت لأني أنا أبوهـــم ومعايـــا شـــهادات ميلادهم ومستعد أروح أجيبهالكم.

قال المحامي في اهتمام:-

- واحنا مستنينك.

غاب وقتا طويلا فظنا أنه يراوغهما وأنه قد هـــرب منـــهما فقـــال المحامي:-

- إحنا كل ما نخرج من حفرة نقع في دحديرة

لكنه سرعان ما حضر بلهث ومعه شـــهادات الميـــلاد وقدمـــها إلى المحامي..فوجد الأولى تخص "شفيق عيسوي ترمساوي الحلفـــاوي" والثانية تخص "شفيقة عيسوي" و أن الولد من أم والبنـــت مـــن أم أخرى.

فنظر إليه في استفسار فأخرج قسيمتي زواج الأولى بآسم أم شـــفيق والثانية بأسم أم شفيقة فقال المحامي في ذهول:-

- يعني دي أساميهم الأصلية..أمال مين اللي سمـــاهم باهي وهدير.
- الست نادرة.
- وإيه اللي عرفنا إن دي شهادات ميلادهم الأصليـــة ما يمكن شفيق وشفيقة دول مالهمش أصل أو توفـوا أو يكونا عايشين بس مش هنا.

احتد عليهما وقال:-

- لأ بقى أنتم ليكم غرض تجوزوهـــم أكيـــد ليكـــم مصلحة من ورا الموضوع ده.
- وهتكون مصلحتنا إيه يا سي عيسوي.
- الله أعلم يا سي طاهر.

ظل المحامي ينظر إليه في غيظ وقال:-

- وإيه اللي يثبت إن هدير وباهي ولادك.
- أحلفلكم على المصحف آه وأنـــا هـــأكذب ليـــه ومصلحتي إيه لما تعرفوا إنهم ولادي..آه أنـــا لازم أرجعهم يعيشوا معايا.

- في القرف ده؟!.
- على قد عيشيتنا يا أستاذ طاهر.
- أمال إيه اللي خلاك فرطت فيهم.
- عشان أضمن لهم حياة أحسن ويعاونوني عشان أربي بقية العيال.

قال المحامي له في غيظ:-

- شوف يا عيسوي من الآخر إنت ما تقدرش تثبت إلهم ولادك قانونا عشان لا يمكن يكون شفيق هو باهي ولا شفيقة هي هدير..وإن كترت في الكلام هتخش في جناية تزوير.
- لا أنا ما زورتش..الست نادرة هي اللي زورت.
- عن طريقك وانت اللي طلعت لهم شهادات ميلاد بأسماء جديدة وأسماء أمهات ماهمش وجود في حياقم

بدا عليه الاضطراب وظل يمسح في العرق المتساقط على جبينه وقال:-

- إنتم عاوزين إيه من الآخر.
- هم أخوات ولا لأ.
- أقسم بالله العظيم إلهم أخوات وأنا أبوهم.

- يبقى الحالى يفضل زي ما هو عشان ما تخشـــش في متاهة.
- يعني إيه يا سي الأفوكاتو.
- يعني زي ما إنت ناسي إنك أبوهم..خليك ناســي وسيبهم يعيشوا حياتهم في أمان.

ظل يفكر لحظة ثم صمت لحظة وقال:-

- وأنا هيعود عليا إيه من الموضوع ده ده يــا ســي الأفوكاتو.
- ولادك هيفضلوا عايشين أحسن عيشة.

قال "طاهر" محاولا إغرائه:-

- وشهريتك هتمشي زي ما هي وأنا اللي هاديــهالك وما تهوبش ناحيتهم.
- يعني ما أشوفهمش.
- ياه..للدرجة دي لسة فيه مشاعر من ناحيتك ليهم.
- إزاي يا أستاذ طاهر..دول لحمي ودمي.

قال المحامي في غيظ وحدة:-

- اللي إنت بعتهم ويا ترى بعــت مــين تــاني مــن ولادك..أنا عارف الصنف اللي زيك.

- برضة من الآخر عاوزين إيه.
- ما أنـــا قولتلـــك..شـــهريتك هتمشـــي زي مـــا هي..وتنسى حكاية شفيق وشفيقة دي والا شـــفيقة ومتولي..اللي عايشين على قيد الحياة وأسماءهم باهي وهدير.

صمت لحظة أخرى وقال:-

- طب نتفق على مبلغ أخده دلوقتي..غير الشـــــهرية والا إيه يا أستاذ طاهر.
- أنا موافق..هاديلك خمس تلاف جنيه غير شهريتك.

بادره المحامي قائلا:-

- بس هتكتب على نفسك إيصال أمانة بالمبلغ عشـــان لو لعبت بديلك.
- هات هات..وأنا هاكتبلك اللي إنت عاوزه..المـــهم ولادي يبقوا مبسوطين.

نظر إليه المحامي في إحتقار وقال في نفسه " راجل جبان وما عندهوش أي نخوة".



في طريق العودة في سيارة "طاهر" ظلا يتحدثان في أمور كثيرة..كيف سيعوض على "نادرة" أخوة "باهي" و"هدير" فقال المحامي:-

- إحنا نأجل كل حاجة لحد ما ربنا ما يسـوها من عنده.
- بس أنا خايف من الجدع اللي إسمه عيسوي ده.
- أهو الراجل ده أوحش حاجة في مشوار النهاردة..أنا ماإعرضش عليا في حياتي ولا سمعت عن راجل جبلة زي ده..أكيد عامل العملة دي مع ناس تانية..بيخلف في عيال ويبيعهم.
- ومستغل وجوده كوظف في الملجأ عشان يمشي أموره يا أستاذ حسين.
- الناس المحرومة بتبقى زي الغرقان اللي عاوز يتعلق في قشة..ما بيفكروش إلا في لحظة يسعد بيها نفسه..وبعد كدة المشاكل تتوالى يا استاذ طاهر.

صمت "طاهر" وتغيرت ملامح وجهه فبادره المحامي قائلا:-

- أنا اسف يا أستاذ طاهر ما قصدتش أني أجرحك.

- ولا يهمك أنا راضي بقضاء الله والحمد لله بقى ليا ولد وبنت أعيش بحسهم ويدوا معنى لحياتي..أنا لا كنت أب ولا عم..كويس إني بقيت خال:-
- أصيل يا أستاذ طاهر يا ابن الأصول.



ذهب إلى السوق وظل يشتري فواكه ولحوم وطيور ولم ينس كيفه فاشترى لفافة أفيون الذي إعتاد على تعاطيه..ثم ذهب إلى زوجتيه وترك عند كل منهما جزء مما اشتراه فقالت إحداهما:-

- ايه ده كله..إيه ده كله..إيه بعت حد تاني من عيالنا.

ظل يضحك ساخرا بعد أن شعشع الكيف في رأسه وقال:-

- عيال مين يا ولية..طب ياريت..ما عدش فيه واحدة من اللي على ذمتي تقدر تخلف..الموجودين دلوقتي مش عيال..كل واحد فيهم بقى زي الشحط..ما يتباعوش إلا في سوق الحمير.
- ياه..ده إنت باين عليك طلعت القمر بالسم الهاري



اللي هيلحس عقلك.

ظل يضحك في هيستريا ويردد:-

- كنز يا ولاد..كنز وعثرت عليه.

قالت في حسرة:-

- الكنز هو ولادنا اللي بعتهم..شفيق إبني وشفيقة بنت زينب.

- ويوسف الله يرحمه وعلوي وعلوية وماجد وماجدة..عايشين في عز وهنا وفي قصور وفيلات..وأنا كل شهر أقول هات..هات.

٥٧

في ليلة عصيبة..ظلت تصرخ وتمسك برأسها وولديها يبكيان الأم التي أظلتهما طوال حياتهما..فأعيد إدخالها العناية المركزة بعد أن قلت كفاءة القلب للحد الأدنى.

في اليوم التالي..فارقت الحياة وتركت ولديها يلتفان بأسرار وألغاز كثيرة في حياتهما..ودفنت بجوار أخيها الذي لم تعلم بوفاته..

حزن "طاهر" حزنا شديدا على أخته وأصطحب ولديها ليقيما معه في شقته وأحاطهما بكامل الرعاية..وبدأت رحلتهما الأسبوعية للسفر

إلى الكلية من البلدة إلى الإسكندرية..مشوار لا يستغرق أكثر من ثلاث أرباع الساعة..وما كان يتحمله المحامي من عبء مواجهة "هدير" و"باهي" بمطلب أمهما للزواج من بعضهما قد أزيل من على عاتقه وعليه أن يسلمهما الأموال السائلة التي تركتها مع اتخاذ الإجراءات القانونية لنقل ملكية الفيلا إليهما ونصيبهما في الأرض والمصنع بعد أن ورثت نصيب "مروان" قبل أن يتوفى.



جمعتهما شقة الإسكندرية مرة أخرى..يزورهما "مهران" ليستذكر دروسه مع "باهي" وقامت "هدير" بدور الأم حيث تعود من الكلية تعد الطعام وترتب أثاث البيت..وكانت فرحته كبيرة لتقرب "مهران" من "هدير" فقد كانت تجمعهم سفرة واحدة سواء أثناء تناول الغداء أو العشاء.

انتهى العام الدراسي ونجحت "هدير" ونقلت إلى الصف الثاني ونقل "باهي" و"مهران" إلى المرحلة التالية وكان "مهران" هذا العام أيضا هو الأول على دفعته.

حصلوا على الأجازة الصيفية فكانت "هدير" حزينة لعدم رؤية "مهران" طوال الأجازة..عادا إلى بيت الخال "طاهر" فأدخلا البهجة

على حياته..كانت لمسات "هدير" واضحة على شكل البيت فكانت تعاون السيدة العجوز التي تشرف على البيت بل أنها عفتها من الطهي وقامت بهذا الدور مما كان يثلج قلب الخال "طاهر" الذي كان يستطيب ما تطهيه..كان دائما يقول في نفسه وفي شجن "والله وعرفتي تربي يا نادرة"..جعلا الحياة تدب في البيت وكان "باهي" يرافق خاله إلى مصنع البلاط ليتعرف على خطوط الإنتاج بل أنه أضاف بذكائه وخبرته الدراسية ما يطور خطوط الإنتاج.

٥٩

"فريدة" إبنة "حسين" المحامي توجهت للتدرب على أعمال المحاماة بمكتب أبيها..ترتب أوراق القضايا والمستندات وتطلع عليها بشغف وأحيانا تعد له المذكرات في بعض القضايا..لفت نظرها أوراق "نادرة" وأيصالات قد أعدها والدها لتسليم الأموال السائلة لـ"باهي" و"هدير"..لاحظ والدها شغفها للاطلاع على ملف "نادرة" فمنعها وقال لها:-

- الموضوع ده سري للغاية وحاولي تعودي نفسك لما تبقي محامية إن يكون لك أوراق لها سريتها وماحدش يعلم عنها أي شيء حتى وكيل مكتبك.

جمع الأوراق والإيصالات وتوجه إلى شقة "طاهر" وتقابل مع "باهي" و"هديــر" وسلمهما المبالغ النقدية بعد التوقيع على إيصالات الاستلام..فوجئا أنها مبالغ كبيرة وأشار عليهما خالهما أن يحتفظا بها في البنك لحين بلوغ السن القانونية للتصرف في تلك الأموال وكان خالهما وكيلهما.

عــرض عليهما المحامي نصيبهما في المصنع والفيلا والأرض الزراعية فــرحب الخال بذلك التقسيم الذي قام به المحامي بالنسب الشرعية لكــنه فوجــئ أنهمــا لا يريدان القيام بتلك الفيلا لأنها تحمل لهما ذكريات مؤلمة فعرض عليهما المحامي بيعها فأكد "طاهر" أنه يريد بيع الأرض أيضا وكانت المفاجأة أن المحامي تقدم لشرائهم بسعر السوق الحالي مما أثر في نفسية "طاهر"..كيف لإبن مخدومهما والذي تربى في تلك الأرض أن يكون مالكا لها هو وأبوه "بنهاوي" وأمه "بحراوية" ثم قال في نفسه "هي الدنيا كدة تطلع ناس وتنزل ناس"..وتذكر الحكاية التي كانت تحكيها جدته لتحثهم على بناء مستقبلهم..فكانت تقول أن أبيها كان فقيرا ولا يملك قيراطا من الأرض وعمل تاجرا للفاكهة وكــافح في حياته وظل يشتري محصول تلك الأراضي حتى إشتراها مــن أصحابها الأتراك سهما سهما وقيراطا قيراطا وفدانا فدانا حتى صارت كلها في حوزته..قال في نفــــسه

"دورات بتدور..يا ترى الأرض هتبقى بعد كده ملك مين".

٦٠

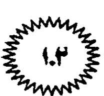
جمع "حسين" المحامي أموالا سائلة من جراء مزاولة مهنته واقترض مبلغا من البنك بضمان الفيلا والأرض بعد نقل ملكيتها باسمه..وبعد أن كان "بنهاوي" و "بحراوية" يقيمان على هامش الأرض في بيت ريفي متواضع..أصبحا داخل الفيلا ويمرحون في الأرض..وأحضر "حسين" عاملا وزوجته يقيمان في بيتهما القديم للإشراف على الأرض..وأمه تجري في الأرض وتردد بين نفسها:-

- معقول يا ولاد بقسنا في العز ده كله..سبحان الله..سبحان المعز المذل..الله يبارك لك يا حسين يا ابني ويزيدك من نعيمه.

على قدر فرحة "بنهاوي" بالحياة الجديدة الا أنه يختلي بنفسه كثيرا ويفكر فيما صار إليه حاله..يذهب إلى بيته الذي ضمه وأولاده..يتحسر على تلك الأيام البسيطة السعيدة..كان راضيا بحاله..ينظر إلى العامل الجديد وأولاده الصغار..عنده ولد وبنت ذكروه "بحسين" و"صفية" عندما كانا في سنهما..يأتي العامل من بعيد مهرولا ويقول:-

- أوامرك يا بنهاوي بيه..فيه حاجة عاوزاها الهانم.

يحدث نفسه قائلا "هانم..وبنهاوي بيه" ويضحك ساخرا في نفسه..ثم ينظـــر إلى الـــرجل دون أن يعلق أو يطلب منه شيئا..ويعود يجرجر أقدامه وقد اغرورقت عيناه بالدموع.



الأفـــيون أثر على عقله وتاهت ذاكرته وأحيل إلى المعاش..يسير في الشوارع بملابس ممزقة..يهذي بعبارات تثير شفقة البعض وتثير شماتة الآخرين..يقول:-

- أنـــا عيسوي ترمساوي الحلفاوي..أنا حافظ إسمي كويس..لكن نسيت أسماء العيال..العيال كلهم..اللي في إيـــدي واللي في إيد غيري..واللي في إيدي وقدام عنـــيا نسواني حرموهم عليا واللي بعيد عن إيدي ما عـــدتش فاكر فين أراضيهم..لا قدرت أراضي عيالي ولا أراضيهم..فين أراضيهم..دماغي اتمسحت يا ناس واللي عندي من مال وعيال خده الكناس.

ثم يميل ناحية صاحب المقهى الذي يبتاع منه "الأفيون"..يركع تحـــت

قدميه ويتوسل إليه ويقول:-

سنة..سنة واحدة يا معلم فولي..دماغي هتفرقع..يا راجل ارحمني وإديني سنة على فنجان قهوة..ياما كسبت مني يا ظالم.

ينهره صاحب المقهى ويقول

يا جدع إنت هتشبهني قدام الناس..على رأي المثل..ما شافوهمش وهم بيسرقوا..شافوهم وهم بيتحاسبوا..روح يا راجل الله يلعنك.

ظل يسير في الشوارع كالأبله ويكرر عباراته ويقول:-

حد يدلني عليهم..فين أراضيهم..أنا مش عاوز فلوس من أهاليهم اللي خطفوهم مني..بس دلوني..أساميهم إيه..أشكالهم إيه..ده أنا كنت عايش زي البيه.

نسى أسماء من باعهم من أولاده..ونسى أسماء من كانوا منهم في رعايته..طُرد من زوجاته..لا مأوى له ولا مستقر..ويقوم الأطفال بقذفه بالحجارة والحصى ويرددون:

المجنون أهو..المجنون أهو.



تقطف عدة ثمار مانجو من على الشجرة وتأكلها بنهم..ينظر إليـــــها "بنهاوي" ويضحك ويقول:-

- على مهلك شوية..هي المانجة هتطـــير..لمــا نجــني المحصول هنخزن لك قفصين تلاتة.
- فاكر يا بنهاوي لما عيني كانت هتخرج على منجاية من جنينة البيت القديم ولما روحت أقطفها مسـكتني الست أم نادرة..الله يرحمهم هم اللاتنين..وبهدلتـني وقالتلي يا حرامية المانجة.

ظل يتنهد ويقول:-

- كانت أيام..هم صحيح كان عندهم حرص أكتر من اللزوم..بس برضة ما حرموناش من حاجة وبعد مـا جنوا محصول المانجة جابولنا قفص بحاله.
- إنت دايما كدة كلامي ما بيعجبكـــش..واللــي في دماغك في دماغك.
- مش تقول الحق يــا بحراويــة..والفضــل يرجــع لصحابه..اللهم إرحمهم جميعا.

- ويرحمني أنا كمان..كل ما أفكر أعيش في العز تفكرني بأيام الفقر..يا راجل إنت لسة فاكر نفسك أجري..إنت صاحب الأرض والملك.

قطع حديثهما وصول حسين بسيارته ومعه زوجته وابنته "فريدة"..فانطلقا ناحيتهم مرحبين..قبل يديهما وعانقا الحفيدة "فريدة" التي أصبحت شابة جميلة وأنيقة..هرولت "بحراوية" أمامهما إلى الفيلا لتعد لهما الغداء.

بعد تناول الغداء..سأل "حسين" والده عن محصول المانجو وعن قيمته عند بيعه فقال الأب متفاخرا:-

- عشر تلاف جنيه يا غالي..أنا حاسبهم بالحباية.
- خلي منهم ألفين مصاريف ليك ولأمي..وإبعت ألف لصفية والباقي نسدد منه جزء من القرض اللي آخدناه.
- ربنا يبارك لك يا غالي ويزيدك من نعيمه.

خرج من الفيلا وظل ينظر إلى الأرض الممتدة على مرمى البصر وأشجار الفواكه تزينها..ذكريات طفولته المحدودة واللعب مع أخته الوحيدة "صفية" وأيام المذاكرة على لمبة الجاز ودعاء أمه وأبيه له بالنجاح والتفوق..كان يعرف أنه لا خلاص له من تلك العيشة

الضيقة..إلا بالتعليم..قال في نفسه "عمري ما كنت أحلم أني أكـون مالك للأرض دي كلها..اللهم لك ألف حمد وألف شكر".



بدأ العام الدراسي وعاد إلى الإسكندرية مع أخته..أول ما فعله أعطى صاحب البيت إيجار لمدة عام كامل..أخذه إبن صاحب البيت ونظـر إليه وقال:-

- الله يرحم والدتك ويرحم جدك أول ما أخد الشـقة دي عشان والدتك تقعد فيها أيام الجامعـة..دفـع لوالدي إيجار سنة..أربعة وثمانين جنيه..كانوا كتـير وقتها وكان فرحان بيهم لأنهم حلوا لـه مشـكلة كانت متوقفة على المبلغ ده..عملي بيـه عمليـة جراحية أنقذت حياتي..لكن..

قال "باهي" في قلق:-

- لكن إيه؟!.
- سبعة جنيه إيجار شقة زي دي على البحـر..مـش قليل؟!..إيجار الشقة في اليوم دلوقت عدى ميـت جنيه.

قال "باهي" في تأكيد:–

- تحب ندفع الإيجار..أنا تحت أمرك..بس تغير العقد باسمي.
- من ناحية المبدأ أنا موافق..لكن لا مؤاخذة حضرتك لسة قاصر.
- خلاص نغير العقد باسم خالي طاهر..ونخليه سبعين جنيه..يعني عشر أضعاف.
- وأنا موافق يا ابني..ولما يجي الأستاذ طاهر أنا هأجهز العقد الجديد.



لم تدم فرحة "بحراوية" فلم يمر عام إلا ووافتها المنية..فحزن "بنهاوي" حزنا شديدا وأسرع ليبلغ ابنه الذي حضر على وجه السرعة وكانت أول من يدفن في المقبرة التي بناها حديثا..كتب عليها مقبرة عائلة "بنهاوي الدسوقي".

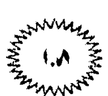
أقام صوانا كبيرا أمام الفيلا..جاء المعزون من أصحاب الأراضي المجاورة وأخته "صفية" وزوجها وأولادها..أسرة صغيرة..لا أعمام



ولا أخوال..مما جعله يشعر بالضآلة.

حضر "طـــاهر" وبصحبتـــه "بـــاهي وهديـــر" لتأديـــة واجـــب العزاء..إستقبلهم "بنهاوي" و"حسين" بحفاوة بالغة وكـــأنهم أهـــل يضفون صفة العزوة لأسرتهما ليلة العزاء..دعاهم "حسين" لتنـــاول العشاء..اجتمعوا على السفرة جميعا فظل "طاهر ينظـــر إلى أرجـــاء الفيلا التي تعب من أجل تشيدها لأخته والآن يقطنـــها "بنـــهاوي" وأسرته.

"صفية" و"بنهاوي" وزوجة "حسين" أعدوا عشاء فاخرا وانضموا إلى السفرة..ظل "باهي" ينظر إلى "فريدة" التي بادلته نظرات تنم عـــن الإعجاب فعرفهم "حسين" على أفراد عائلته وقال:-

 الأستاذ طاهر أخ عزيز..والباشمهندس باهي والآنسة هدير ولاد اللست نادرة الله يرحمها.

نظـــرت "فريـــدة" إلى "بـــاهي" وســـرحت وتغـــيرت ملامـــح وجهها..تذكرت الأوراق التي وقعت بين يديها أثنـــاء وجودهـــا في مكتب أبيها.

انفض العزاء ورجا "حسين" أخته "صفية" أن تعيش مع أبيها في الفيلا هي وزوجها وأولادها..فوافقت هي وزوجها الذي قال في نفسه

"هو إحنا هنلاقي عز أكتر من كدة".

فضول "فريدة" دفعها لسؤال والدها عن "باهي" وعن اللغز الموجود في الأوراق التي قرأتها فقال لها بعد أن ضاق صدره منها:-

- إنتي عاوزة تحشري نفسك في اللي ليكي فيه واللي مالكيش فيه..قلتلك قبل كدة دي أسرار ناس وعائلات وخصوصا العيلة دي لأن ليها وجود في حياتنا سواء بالخير أو بالشر.

عاد "طاهر" بعد العزاء إلى بيته ويرافقه "باهي و"هدير" وظل "باهي" يفكر في تلك الفتاة الجميلة "فريدة" فلم يسبق له أن لفتت نظره فتاة بهذه الطريقة فظل يسأل خاله عن المحامي "حسين" وعن أسرته وعلاقتهم بأسرته..فقال الخال "طاهر" وهو يضغط على أسنانه ويتأفف:-

- ما إنت عارف يا سيدي المحامي بتاع والدتك الله يرحمها.
- وهي ماما كانت محتاجة محامي في إيه يا خالي.
- كل أصحاب رأس المال..سواء كان في عقارات أو أموال سايلة..يحتاجوا المحامي وخبرته عشان ما يقعوش في مشاكل.



صمت لحظة ثم قال:-

- والبنت اللي كانت موجودة في العزا.

بادره قائلا في عصبية:-

- بنت المحامي حسين ..طالبة في كلية الحقوق ما هو التعليم عدل أوضاع ناس كتيرة في الفترة اللي فاتت..لما كان التعليم له قيمة وسلمه توصل لأعلى الأدوار وأهو انت شايف حسين ابن بنهاوي اللي كان عامل في أرض أجدادك بقى مالك للأرض كلها وحق الفيلا اللي تعبت في إنشائها.

التزم "باهي" الصمت وآثر ألا يتحدث مع خاله الذي تغيرت معالم وجهه.

٦٥

"طاهر" يقلب في الجريدة يوميا كعادته..قرأ الخبر "توفى إلى رحمة الله منصوري هواري الطليساني" المقاول بالإسكندرية وليبيا" فقال في نفسه "سبحان الله..موت ناس يبني حياة ناس"..أمسك بالجريدة وظل يبحث عن مكان يداريها فيه فهو يعلم أن "باهي" عنده فضول وقد يلفت نظره ذلك النعي الذي يحتل ربع صفحة في الجريدة أو قد

يلفت نظر "هدير" التي تعرف أنه والدها وطليق أمها..ثم أمسك بالجريدة وظل يمزقها قطعا صغيرة ثم قام بحرقها.

دقائق معدودة وحضر "باهي" إلى المصنع ومعه "مهران" الذي أمسك بملف حمله معه..عرفه بخاله وعرف خاله به وأخذ الملف من "مهران" وعرضه على خاله لتحويل المصنع من بلاط عادي إلى بلاط من الرخام..نظرا إلى تعطش السوق إلى هذا النوع من البلاط وكثرة استخدامه في المصايف الجديدة بالساحل الشمالي..أعجب الخال بالمشروع وأشار على مهران أن يشرف على المصنع بعد تخرجه فقال "باهي":-

- يا خالي إحنا السنة دي آخر سنة..ومهران بيطلع الأول على جميع أقسام الكلية وأكيد هيتعين معيد.
- وماله يا أخي..يجي كل أسبوع مرة وإسكندرية مش بعيدة عن بلدنا.

فرح "باهي" بهذا العرض وقبل خاله وقبل "مهران" وقال له:-

- مبروك عليك يا باشمهندس مهران.



علم أنها في الصف الثالث من كلية الحقوق فذهب إلى أخته

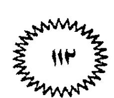


"هدير" وطلب منها أن تسأل عنها..وجدها وتذكرها وقالت:-

- آنسة هدير مش كدة ؟
- مظبوط..وحضرتك آنسة فريدة بنت الأستاذ حسين المحامي.
- أيوة..أنا كان نفسي أتعرف عليكي لكن كانت ظروف عزا و...
- عارفة عشان كدة لما عرفت إنك في كلية الحقوق جيت عشان نتعرف على بعض أكتر.

في هذه الأثناء حضر "باهي" بعد أن عرفهما بنفسه فكانت مسرورة لأنها رأته للمرة الثانية وقد تبادلا نظرات الإعجاب..لكن "فريدة" تذكرت على الفور أوراقهما التي حاولت قراءتها وظلت واجمة..فلم يستطع تفسير نظرات الحيرة التي بدت في عينيها.

ذهبت إلى المكتب أثناء إجازتها الأسبوعية قبل أن يصل والدها إلى المكتب وظلت تقلب في أوراق "نادرة" فذهلت لما قرأته من تعليق كتبه والدها على ورقة أشبه بالمذكرة واغرورقت الدموع من عينيها لحالهما..ما ذنبهما حتى يعيشا حياة غير حياتهما الأصلية..ماذا لو عرفا ولكن من سيخبرهما..هي..لا..من منطق أنها أسرار عائلية وأوراق خاصة بأبيها وأيضا من منطق أنه لا شأن لها بهما ولكن..



"باهي"..لقد رأت في شخصيته أشياء كثيرة جعلها تعجب به..شـاب رقيق ومهذب..أمامه المستقبل..من أسرة طيبة ولكن أي أسرة..إنه لا ينتمي إليها إلا بالاسم..حتى إسم أبيه وأمه مشبـــكوك في نســـبهما إليهما..فكم من عائلات كثيرة تخفي أســـرارا في طيـــات حقيقـــة وجودها ونسبها..ما ذنبه وما ذنبها وهما ينظران للحياة بنظرة متفائلة خلفها حقيقة وجودهما المزيفة المؤلمة..ماذا لو عرفا حقيقتهما..أنهـــا ليست أمهما والآباء ليسوا آباءهما..ماذا لو اكتشف أحد من أســـرة الوالدين حقيقة نسبهما إليهما..ومن أمهاتهما الحقيقتـــين وأبويـــهما الحقيقين؟!.

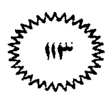


هذه المرة هي التي ذهبت إلى "هدير" في كليتها..ظلت تنظر إليـــــها فاحصة واجمة فقالت لها "هدير":-

- أنا مبسوطة إني شوفتك.

صمتت "فريدة" لحظة ثم قالت:-

- بس مش أكتر مني..أنا حاسة إنك قريبة مني جدا يا هدير رغم إن إحنا ما نعرفش بعض غير من فـــترة قريبة وبالصدفة.



- وأنا كمان عندي الاحساس ده..خاصة وإن خـــالي بيشكر في بابابكي.
- خالك؟!.
- أيوة خالي طاهر.

اعتلى الوجوم وجهها مرة أخرى ثم قالت:-

- أمال فين الباشمهندس باهي.
- عندهـــم النـــهاردة عملـــي في موقـــع في آخـــر اسكندرية..وعلى فكرة هو كمان بيســـأل عنـــك بإستمرار ونفسه يشوفك.

قالت في نفسها "وأنا كمان".

٦٨

كانت فرحة الخال "طاهر" أكثر مما توقعه حينما نجح "باهي" وتخـــرج من كلية الهندسة..إنه ليس ابن أخته فقط ولكن ابنا له..شعور سيطر عليه وجعله يحب الحياة ويتمسك بها..معنى جديد في حياته..أضاءهـا وجعل لوجوده قيمة..أنه سيكون رفيق رحلة حياتـــه ونجاحـــه بـــل وزواجه.

حقق "باهي" أمنية خاله وإلتحق بالمصنع ليبدأ معه في تنفيذ المشروع

الذي أعده "مهران" الذي عين معيدا في الكلية.

ولكنه فوجئ بأن "مهران" قد حل نفسه عن الإشراف على المشروع مما أثار دهشة "طاهر" الذي قال:-

- عجيب صاحبك مهران ده..ده كان متحمس أوى للمشروع

- والله يا خالي أنا كمان مندهش لموقفه..يبدو أن منصب معيد زغلل فى عينه أكتر من أى حاجه تانيه

أصاب وجه "طاهر" الوجوم وقال :-

- وما أظنش إنك هتشوفه تاني..حسب المعلومات اللي عرفتها عنه منك إنه عنده مركب نقص .

أطرق "باهي" ثم قال فى حزن :-

- ده اللي أنا حسيت بيه وقلت أكدب نفسي .



نقل باهى لها الخبر بطريقة عادية فوجئ أنها تبكى بحرارة بالغة ..ظل ينظر إليها فى ذهول وأدرك الآن أن إهتمامها به لم يكن أمرا عاديا..أنها تحبه ؟! بالغت فى الإهتمام به ولكنها لم تبد أى مشاعر صريحة ناحيته..ترى هل كان يشعر بحبها ؟! وإذا كان الأمر كذلك



لماذا يرفضها ويفضل عليها من هي أقـــل منـــه ثقافـــة ومســـتوى اجتماعي..أنها ابنة خاله..لم تحصل من التعليم سوى على نهاية المرحلة الإعدادية ..هل يعوض جميل خاله الذي رباه..أم كان بينهما حـــب دفين ترعرع داخل المترل المتواضع فى قريتهم..أم هل شعر بحب أخته وخشي أن يوضع فى مقارنة بين وضعه المادي المتواضـــع وأســـرته الفقيرة وبين أسرقم .

أغلقت على نفسها باب حجرقا..منعت الزاد ثلاثة أيام..ذبل وجهها وذابت ضحكاقا فى ألم كاد يؤدى بحياقا لاحـــظ خالهـــا وســـألها لم تجب..سأل "باهى" فأخبره بحقيقة الأمر..دخل عليها كأب حنـــون و توسل اليها أن تسمعه بعد أن أدرك أن أوراق "نادرة" لم تجن ثمارهـــا مع ابنتها قال لها فى حب :-

- ميهمكيش يا نور عين خالك.إنتى زهرة ميقطفهاش ولا يشم ريحتها إلا اللي عارف قيمتها .

قالت وهى تكاد تحتضر :-

- صعب يا خالي ده حب طفولتى
- حب من طرف واحد يا بنتى ده اللي أنا فهمته مـــن أخوكى..وبعدين يا ستى هو أتجوز واحدة أقل منـــك فى المال وفى الجمال وفى الحســـــب..اللي إختارها

من توبه..اللي زي مهران مـــهما علـــي بيحـــس إنـــه قليل..خصوصا إن عطفك عليه واهتمامك بيه خـــلاه يبعد ما يقربش..اسألي خالك المجرب.

مد يده ومسح دموعها ثم نهض في خفة وأحضر لها صينيـــة عليـــها الطعام..حاول بصعوبة أن يلقمها لقيمات صغيرة ثم بكى..فتـــأثرت لبكائه فازداد في البكاء وقال:-

- أنا دلوقتي أبوكي وأمك بس ما اقـــدرش أســـعدك بشيء ما املكهوش يا هدير يا بنتي

أثرت فيها كلماته فمدت يدها ومسحت دموعه ثم مسحت دموعـها ومدت يدها إلى الطعام حتى تشعره بقيمته عندها وقالت:-

- أنا باحمد ربنا إنه عوضني بأب حنين..مـــش مجـــرد خال.

تعانقا وكل منهما انفجر مرة أخرى في البكاء..ليس حزنا على مـا ألم بها ولكن عاطفة تفجرت بينهما لم يشعر كل منهما بها إلا في هـــذا الوقت الصعب.

٧٠

زاره في المصنع وأفحمه بعباراته القاسية..حذره من إقتراب باهي مـن ابنته وتكلم بصراحة جارحة وقال:-

- لو إنت مكاني كأب هتقبل إن بنتك تتجوز واحـــد أصله معروف..ده ابن عيسوي يا أستاذ طاهر مـــش ابن الحاجة نادرة..أرجوك أعذرني.

قال "طاهر" في حدة:-

- هو دلوقتي ابن نادرة..ابن أخـــتي..الأوراق كلـــها بتقول كدة..موضوع عيسوي ماحدش يعرفه غيري وغيرك.

- ما هو لو على قد كدة كان الأمر يبقى هين..لكـــن فضول بنتي عرفها الحكاية من الألف للياء.

أطرق ثم قال في انكسار:-

- ورأيها إيه؟.

قال وهو يتلعثم:-

- المهم رأيي أنا..أنا أبوها.

رجع إلى الخلف وقال في حدة:-

- طب لو هو ابن نادرة بالفعل تفتكر كنت هـــأرضى أجوزه بنتك وأظن كل واحد عارف أصلـــــه..مـــا تزعلش مني يا أستاذ حسين..ما هـــي دي برضـــة حقيقة مش لازم تغفلها..أبوك كان شغال عندنا.



نهض فى حدة وقال :-

- كان..واللي فات مات إحنا ولاد النهاردة يا أستاذ طاهر وعلى العموم أنا هآجبلك كل أوراق الحاجة نادرة ..أنا دوري إنتهى لحد كده.
- لأ ما إنتهاش يا أستاذ حسين
- تقصد إيه يا أستاذ طاهر
- أقصد ان السر عندك.. والضمير والأخلاق وخصوصا أخلاق المهنة يحتم عليك إنك تتقى الله فى اللى تعرفه وياريت تعتبر نفسك معرفتوش من الأساس

إنصرف فى حدة وهو يقول:-

- بس الشرع بيقول دعوهم لآبائهم

ورجع "طاهر" بمقعده إلى الخلف وأمسك برأسه وقال " ربنا أعلم بنيتي وربنا يسامحني إذا كنت تجاوزت"

٧

حاولت التغلب على محنتها..نزلت إلى المصنع ويدها بيد "طاهر" وأخوها وقد لاحظ "طاهر" أنها تتصرف بنفس المنطق الذي كانت

تسلكه أخته "نادرة" حتى إنها بدت شبيهة لها ..حركاتها ..إيماءاتها ..سكناتها ..هي "نادرة" الصغيرة فقال فى نفسه "سبحان الله اللي ربى صحيح غير اللي خلف لكن تربية نادرة خلتها صورة منها"

زارهم أحد المتعاملين السابقين فسأل عن "مروان " وعندما أخبره "طاهر" حزن الرجل حزنا شديدا ثم أتفق معه على توريد كمية من البلاط لإحدى مشروعات مقاولاته في بلدته بالشرقية فأشار "طاهر" إلى "هدير" للحضور إلى مكتبه لعمل أمر التوريد فكانت سعيدة بهذه الثقة وأثناء حديثه مع الرجل راح ينظر اليها في اهتمام وإعجاب ثم قال :-

- دى موظفة جديدة في المصنع يا أستاذ طاهر؟

ابتسم "طاهر"وقال:-

- دى شريكة فى المصنع هدير بنت أختي المرحومة نادرة في أخر سنة في الكلية .

وما أن انتهت "هدير" من كتابة أمر التوريد خرجت من المكتب وظل الرجل يتابعها بنظراته ثم قال :-

- مخطوبة أو مرتبطة؟

قال"طاهر"فى حماسة :-

- أبدا دى لسه صغيرة



- صغيرة إيه يا استاذ طاهر إنت بتخزى العين عنها ولا إيه وعلى العموم يا سيدى عايزين نكمل امر التوريد بعقد تاني أهم .

بدت مظاهر الفرح على "طاهر" وإبتلع ريقه وتصنع عدم الفهم وقال:-

- مش فاهم تقصد إيه يا حاج بسيوني
- آقصد إن عندي باشمهندس يسر العين بيشرف على شغلي وهو يا سيدي مش غريب..إبني واسمه فادي

حالة من الارتباك الشديد إختلطت بمشاعر السعادة جعلت "طاهر" يلتزم الصمت ثم سرح بتفكيره فعاد الرجل يسأل في تأكيد:-

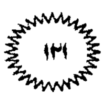
- قلت إيه يا باشمهندس طاهر..ده نسب يشرفني.

قال "طاهر" في تأكيد:-

- أن هاخد رأيها..ومن جهتي أنا موافق.

قال الرجل:-

- مهرها ميت ألف وشبكتها بنفس المبلغ.
- ربنا يسهل يا حاج بسيوني.



فرحت عندما علمت أن هذا الأمر سيثلج صدر خالها فعاد وسألها:-

- يا بنتي يا غالية يا بنت الغالية. إنتي ليكـــي مطلـــق الحرية لأن ده حقك عاطفيا وشرعا وقانونا.

نهضت وقبلته فظل يبكي كالطفل ودخل عليهم "باهي" الذي مــا أن علم حتى كاد يطير فرحا وحمد الله أن الكربة قد أزيحت عن كـــاهل أخته التي أيقنت أن مسار العقل في أمور الزواج التي باركها الله هــو مفتاح السعادة الزوجية.

راح "باهي" يفكر في محبوبته التي يتمنى الإقتران بها ففاتح خاله الذي قال له بحكمة سنه وتجاربه في الحياة:-

- إذا كنت تقدر تشتري بضاعة من صاحبها غصـــب عنه وترضى على نفسك أنا موافق.

فأدرك "باهي" بذكائه أن خاله لا يريده أن يقترب من ذلك المحـــامي ولم يشكك في تقديره ووزنه للأمور بما يـــأتي في صالحـــه وصـــالح أخته..ثم بدءوا في الاستعداد لخطوبة "هدير".

٧٤

في أحد فنادق الإسكندرية الخمس نجوم أقام الخال حفـــل خطوبـــة "هدير"..المرة الأولى التي يراها فيها خطيبها وتراه..حدث إعجـــاب

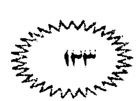
بينهم وتمنى لهم الجميع حياة سعيدة..وكانت مصادفة جميلة أن يـرى الخال شقيقة خطيب "هدير" إسمها "منال" طالبة بنهائي كلية الصيدلة فلم يتوان الخال عن خطبتها لـ "باهي" بعد مشورته وبعد أسـبوع تمت خطبتهما فى الزقازيق وسرعان ما تم زواجهما وقام الخال بتصفية مشروعاته فى دمنهور بما فى ذلك المصنع وأسس شركة مقـاولات فى الشرقية ضم إليها "باهى" كمهندس للشركة و"هديـر"كشـريك مؤسس ..وبذلك بعد عن مكان جر عليهم جميعا كثير من المشـاكل حتى ولو كانت مسقط رأسهم ..وبنى فيلا واشترى قطعـة أرض فى أحد قرى الشرقية لتكون جمعا لأسرته الجديدة فى مختلف المناسبات .



أنعم الله على "باهى" بطفلة أسماها "نادرة"ورزقت "هدير"بطفل أسمته "مروان" مما أسعد "طاهر"وظل يردد فى نفسه "الله يرحمك يا مـروان كنت عاوز تقلب الترابيزة على دماغ الكل وتخسرني ثمرة أختـك اللى ربنا بارك فيها بعد ما دبلت أوراقنا أنا وأنت "

وكانت فرحته لا تقدر عندما كبر الأولاد وظلـوا ينادونـه بجـدو "طاهر"

طلبا من خالهما "طاهر"أن يزوروا قبر أمهما "نادرة" تـردد في



بادىء الأمر ثم عقد العزم على الفور فانطلقوا جميعا الى البلـــدة أول أيام عيد الأضحى .."باهى وهدير" راح كلا منهما يقرأ ما تيسر مـن القرآن على روح أمهما وخالهما "مروان" ووقف "طاهر" يتابعـــهما وقد تحجرت دموعه فى عينيه ثم قال فى نفسه "الله يرحمك يا نادرة يـا أختى ..ورق شجرك طرح ولاد وأحفاد ملوا الدنيا عليـــا وخلـوا لحياتي طعم عمرى ما حسيت بيه ودموعي إتحجرت فى عينيا لكـــن قلبي فرحان ربنا يرحمك ويغفر لك ويغفرلى يا نادرة يا أغلى الناس"

تمت بحمد الله

الجمعة ٢/٦/٢٠٠٦



الكاتب في سطور

- عادل عبد المجيد القنصل.
- مواليد ١٩٤٩/٧/٢ الزقازيق.
- لواء شرطة سابق.
- حاصل على ليسانس الحقوق وليسانس الآداب لغات شرقية
- مؤلف بالإذاعة والتليفزيون و عضو اتحاد الكتاب.
- صدر له مجموعات قصصية:-

وابور أبو النور-قلعة صقر-جدي وجدتي-حياتنا-جلابية راشد-نقطة الصمت مأمورية زفاف عفاف-قيد المحضر ضد عفريت-مفاهيم محتاجة تفهيم ١،٢ على رصيف سيبس-نور الدين والكلب عنتر-احوال العباد في زمن العناد.

- روايات:-

سجين زفتى-الولد رومانسي-عطر العرافة-البوابة-زهرة الفصول-أرنب سرق عمري-سقطة في زمن السيد ياغمور-جعفري وبديع العنتري أبناء العم وسام ١،٢،٣ - الكشف-كمساري قطاع خاص-الجبل والقارب١- م.صاوي الراوي١٩٩٥-اطراف مدينة-أوراق نادرة-الجبل والقارب٢

- قيد النشر:-

أبناء العم وسام ٤-الجبل والقارب٣ -صمام حربي-حورية البحيرة-فراشة البراري-قلوب مسنة

 وعنوانه

بورسعيد حي ٦أكتوبر ع٨٠ ش١٥



صمام حربي

"بلا أمان"

رواية

عادل القنصل